

مَنَاقِبُ الْأَمِّ حَلِيقَةِ الْحَنِيفَةِ

وَصَاحِبِيَّةِ أَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَحْسَنَ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيِّ

وُلِدَ سَنَةَ ٦٧٣ وَتَوُفِّيَ سَنَةَ ٧٤٨ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

عُنِيَ بِتَحْقِيقِهِ وَالتَّعْلِيلِ عَلَيْهِ

أَبُو الْوَفَاءِ الْأَفْغَانِي

رَئِيسُ الْجَمْعِيَّةِ الدِّلِّيَّةِ

مِنْ لَجْنَةِ إِحْيَاءِ الْمَعَارِفِ النَّعْمَانِيَّةِ

مُحَمَّدُ زَاهِدُ الْكَوْثَرِيِّ

وَكِيلُ

مَشِيخَةِ الْإِسْلَامِ بِاسْتَنْبُولِ سَابِقًا

عُنِيَتْ بِنَشْرِهِ

لَجْنَةُ إِحْيَاءِ الْمَعَارِفِ النَّعْمَانِيَّةِ

بِحَيْدَرَأَبَادِ الدُّكْنِ بِالْهِنْدِ



مَنَاقِبُ الْأَمِيرِ الْحَنِيفِ

وَصَاحِبِهِ أَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدَ بْنَ أَحْسَنَ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيِّ

وَلَدَ سَنَةَ ٦٧٣ وَتَوُفِّيَ سَنَةَ ٧٤٨ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

عُنِيَ بِتَحْقِيقِهِ وَالتَّعْلِيلِ عَلَيْهِ

أَبُو الْوَفَاءِ الْأَفْغَانِي

رَئِيسُ الْجَمْعِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ
مِنْ لَجْنَةِ إِحْيَاءِ الْمَعَارِفِ النَّعْمَانِيَّةِ

مُحَمَّدُ زَاهِدُ الْكُوْثُرِيِّ

وَكِيلُ
مَشِيخَةِ الْإِسْلَامِ بِاسْتَنْبُولِ سَابِقًا

عُنِيَ بِنَشْرِ

لَجْنَةِ إِحْيَاءِ الْمَعَارِفِ النَّعْمَانِيَّةِ

بِحَيْدَرَأَبَادِ الدُّكْنِ بِالْهِنْدِ

الطبعة الأولى في القاهرة من مصر سنة ١٣٦٦
الطبعة الثانية في مُلْتَان من باكستان سنة ١٣٩٩
الطبعة الثالثة في بيروت من لبنان سنة ١٤٠٨

يطلب من لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد الدكن في الهند

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فهذه الطبعة الثالثة من كتاب: مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، للإمام الحافظ الذهبي رحمهم الله تعالى، نقدمها للقراء، وقد استحسننا أن تطبع في بيروت، لتخرج بحلة قشبية، وعرض جميل، وحرف فصيح، وأثبتنا على حواشي هذه الطبعة أرقام صفحات الطبعة الأولى المطبوعة بالقاهرة منذ أكثر من أربعين سنة، نظراً للعزو إليها في النقل عنها، ونرجو من الله تعالى أن ينفع بها، وهو ولي التوفيق.

لجنة إحياء المعارف النعمانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ الحمد لله الذي شرف العلماء من عباده بكريم خطابه: ﴿إنما
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، و﴿هل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ﴾. وأكرم أوليائه منهم بمزيد كرمه وألطفه حيث قال تعالى:
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ميز علماء أمته بقوله:
«من يُردِ اللَّهَ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين»، وعلى آله الطيبين الطاهرين
الأكرمين، وصحبه القادة السادة البررة المتقين.

أما بعد، فقد كنت منذ رأيت كلمة الذهبي في «تذكرة الحفاظ»،
عند ترجمته لأبي حنيفة في عداد الحفاظ ١: ١٦٨: «مناقب هذا الإمام
قد أفردتها في جزء»، وكلمته فيها عند ترجمته لصاحبه أبي يوسف في
عدادهم أيضاً ١: ٢٩٢: «قد أفردته وأفردت صاحبه محمد بن الحسن
رحمهما الله في جزء».

لم أزل مشغراً عن ساق الجد في البحث عن تلك الأجزاء المفردة
للذهبي في تراجم أئمتنا فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت
الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله
محمد بن الحسن الشيباني، رضي الله عنهم وأرضاهم.

إلى أن أظفرني الله سبحانه بالجزء الخاص بمناقب أبي حنيفة، من بين تلك الأعلاق النفيسة، في مكتبة العلامة الكبير الشيخ محمد سعيد الشافعي المَدْرَاسِي - مفتي العدالة العالية بحيدرآباد الدُّكْن سابقاً تغمده الله برضوانه -، وهي من أغنى مكتبات حيدرآباد، فيها نوادر كثيرة من كتب الحديث والفقه، فagتنمنا ذلك، ونسخناه لنشره بمعرفة لجنتنا «لجنة إحياء المعارف النعمانية».

كما أظفرني بالجزء الخاص بالصاحبين أبي يوسف ومحمد رحمهما الله عند صديقنا / الأستاذ محمد زاهد الكوثري من مشايخ العلم ٤ في دار الخلافة العثمانية سابقاً، كان نسخه من نسخة مكتوبة في القرن الثامن، ضمن مجموعة اشتراها صديقهُ المغفورُ له السيد محمد أمين الخانجي الكتبي المشهور، من بيت السَّقَطِي بِصالحية دمشق الشام، حيث كان أعاره تلك المجموعة سنة ١٣٤٧هـ قبل أن يبعث بها إلى الغرب.

وكان هذا توفيقاً من الله جل شأنه، وكان الجزء الخاص بأبي حنيفة مملوءاً بالأغلاط، فبعثنا به إلى الأستاذ الكوثري بمصر ليصححه ويعلق عليه بالتماس اللجنة، مع طلب الجزء الخاص بالصاحبين منه حفظه الله بالتعليق عليه أيضاً، فقام بإسعاف المرجو، كما يراه القارئ، وأهدى الجزء إلى اللجنة، جعل الله سعيه مشكوراً، ومتع المسلمين بطول حياته.

فما كان ساقطاً من الأصل زدْتُ فيه بين مريّعين من كتاب فضائل أبي حنيفة وأصحابه للحافظ ابن أبي العوّام، لأن أكثر ما في الأصل مأخوذ منه بلفظه، ولم أنبه عليه، وما زيدَ فيه من غيره نُبّهْتُ عليه

بالحامش، وتعليقات الأستاذ محمد الزاهد الكوثري مرموز إليها بحرف (ز) في آخرها.

أما ترجمة مصنف المناقب فهو - كما ذكرها الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحُسَيني الدمشقي في «ذيل تذكرة الحفاظ»: «الشيخ الإمام العلامة، شيخُ المحدثين، قُدوةُ الحفاظ والقراء، محدِّث الشام ومؤرخه ومفيده، شمسُ الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التُّركماني الفارقيُّ الأصل، الدمشقيُّ الشافعي المعروف بالذهبي، مصنفُ الأصل - يعني «تذكرة الحفاظ» -.

ولد سنة ثلاث وسبعين وست مئة بدمشق، وسمِعَ الحديث في سنة اثنتين وتسعين وهلم جراً، وسمِعَ بدمشق من أبي حفص عُمر بن القواس، وأبي الفضل بن عساكر، وخلق، وبمصر الأبرقُوهي، وبالقاهرة الدُّمياطي، وبالشَّعر الغُرَّافي، وبيعلبك التاج عبد الخالق، وبحلب سَنقر الزيني، وبنابلس العماد بن بدران، وبمكة التُّوزري.

وأجاز له خلقٌ من أصحاب ابن طبرزد والكِندي وحنبل وابن الحرَّستاني وغيرهم من شيوخه في «معجمه الكبير»، وهم / أزيد ٥ من ألف ومئتي نفس بالسمع والإجازة. وخرَّج لجماعة من شيوخه وجرح وعدل، وفرَّع وصحَّح، وعلَّل واستدرك، وأفاد وانتقى، واختصر كثيراً من تآليف المتقدمين والمتأخرين، وكتبَ علماً كثيراً.

وصنَّف الكتب المفيدة، فمن أطولها «تاريخ الإسلام»^(١)، ومن

(١) في مكتبة أحمد الثالث في طوبقو في إصطنبول نسخة في ٢٣ مجلداً (ز).

أحسنها «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، وفي كثير من تراجمه اختصار يحتاج إلى تحرير. ومصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المئة، وقد سار بجملة منها الرُّكبان، في أقطار البلدان.

كان أحد الأذكياء المعدودين، والحفاظ المبرزين، وليّ مَشِيخَة الظاهرية قديماً، ومَشِيخَة النفيسية والفاضلية والتَّنْكِزِيَّة، وأمّ الملك الصالح.

ولم يزل يكتُب وينتقي ويُصنف حتى أُضِرَّ في سنة إحدى وأربعين^(١)، ومات ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

وكان قد جَمَعَ القراءات السبع على الشيخ أبي عبدالله بن جبريل المصري نزيل دمشق، فقرأ عليه خَتْمَةً جامعةً لمذاهب القُرَّاء السبعة بما اشتمل عليه كتاب «التيسير» لأبي عمرو الدَّاني، وكتاب «جرز الأمانى» لأبي القاسم الشاطبي، وحَمَلَ عنه الكتاب والسنة خلائقُ، والله تعالى يغفر له». انتهى ما قاله الحسيني بلفظه.

قلتُ: ومن تصانيفه التاريخ الأوسط، والصغير، وقد طُبِعَ بدائرة المعارف بحيدرآباد الدَّكن، وسِيرُ النُّبلاء^(٢)، وطبقات الحفاظ، وطُبِعَ بدائرة المعارف مرتين، ومختصر تهذيب الكمال المعروف بالتَّذْهيب، والكاشف، مختصر ذلك، والمجرد في أسماء رجال الكتب الستة، والتجريد في أسماء الصحابة، وطُبِعَ بدائرة المعارف، والميزان وطُبِعَ

(١) أي صار ضريراً فاقداً لبصره.

(٢) في مكتبة أحمد الثالث في ١٩ مجلداً (ز).

بالهند وبمصر، والمغني في الضعفاء، ومشتبه النسبة، وطُبع بأوروبا، ومختصر الأطراف لشيخه المزي، وتلخيص المستدرک مع تعقيبه عليه، وطُبع بدائرة المعارف في ذيل مستدرک الحاكم، / ومختصر المحلى، ٦ ومهذب سنن البيهقي، وغير ذلك. وله معجم كبير، وصغير، وكتاب العلو، وطُبع بالهند وبمصر وفيه مآخذ، وزغل العلم، وطُبع بمصر مع تعليق عليه للأستاذ الكوثري حفظه الله.

وقال السيوطي: في «ذيل طبقات الحفاظ»: «إنَّ المحدثين عيالٌ الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر»، ثم قال: ورثاه التاج السبكي بقصيدة أولها:

«مَنْ لِلْحَدِيثِ وَلِلسَّارِينِ فِي الطَّلَبِ	مِنْ بَعْدِ مَوْتِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ
مَنْ لِلرِّوَايَةِ وَالْأَخْبَارِ يَنْشُرُهَا	بَيْنَ الْبَرِيَةِ مِنْ عُجَمٍ وَمِنْ عَرَبٍ
مَنْ لِلدِّرَايَةِ وَالْآثَارِ يَحْفَظُهَا	بِالنَّقْدِ مِنْ وَضَعِ أَهْلِ الْغَيِّ وَالْكَذِبِ
مَنْ لِلصَّنَاعَةِ يَدْرِي حَلَّ مُعْضِلِهَا	حَتَّى يُرِيكَ جِلَاءَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

ومنها:

هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي رَوَتْ رِوَايَتُهُ	وَطَبَّقَ الْأَرْضَ مِنْ طُلَّابِهِ النُّجَبِ
تَبَّتْ صَدُوقُ خَيْرٍ حَافِظٌ يَقْظُ	فِي النُّقْلِ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَقْرَأَ وَأَحْفَظَهُ	مِنْ زَاهِدٍ وَرِعٍ فِي اللَّهِ مَرْتَقِبِ» ^(١)

(١) هذا ما قاله ابن السبكي في الذهبي بعد موته تحت تأثير هذا الموقف الرهيب، ولم يمنع ذلك أن يبدي رأيه في الذهبي نفسه منتقداً إياه في مواضع من طبقات الشافعية، كما فعل مثل ذلك الذهبي عند موت ابن تيمية، مع كونه ينتقده من نواح، سامحهم الله وإيانا بمنه وكرمه. وفي تكملة الرد على نونية ابن القيم ص ١٧٧ و ١٨١ نماذج من هذا وذاك (ز).

هذا وقد تم نشر هذا المجموع النفيس، تحت ظلال مولانا الملك
الجليل المُعان، الذائعُ صيتِ فضله في كل مكان، صاحبِ الجلالة،
السلطانِ ابن السلطان، سلطان العلوم، مظفر الممالك، شمس الملة
والدين، آصف جاه السابع، مير عثمان علي خان بهادر، لا زالت مملكته
رافلة في حُلل العِزّ والارتقاء، ما توالى المَلَوَان، وكان ذلك بإذن لجنة
إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد الدَّكَّن، حرسها الله عن الشرور
والفِتَن، في شهر ذي القعدة المحرم من سنة ١٣٦٦هـ، والله الحمد
والمِنَّة ؟

أبو الوفاء الأفغاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ الحمد لله على كل حال. وصلى الله على محمد أفضل ٧
الرجال.

أما بعدُ فهذا كتابٌ في أخبار فقيه العصر، وعالم الوقت،
أبي حنيفة، ذي الرتبة الشريفة، والنفس العفيفة، والدرجة المُنيفة:
النعمان بن ثابت بن زُوَطَى^(١)، مفتي أهل الكوفة. وَلَدَ رَضِيَ الله عنه
وأرضاه، وأنفذ ما أَوْضَحَهُ من الدين الحنيفيِّ وأمضاه، في سنة
ثمانين^(٢)، في خلافة عبد الملك بن مروان بالكوفة.

(١) زُوَطَى ليس بوالد ثابت مباشرة بل بينهما النعمان بن المرزبان، وأبوزوطى ماه،
كما نص على ذلك الإمام مسعود بن شيبة في «التعليم» ص ٣، وهو الموافق
لما صح عن إسماعيل بن حماد (ز).

(٢) هذا اختيارٌ منه لأحدث الروايات المختلفة أخذاً بالأحوط، كما جرى عليه
الأكثرون، لكن هذا إذا لم يترجح سواه بدليل، ففي رواية ابن دَوَاد: كان ميلاده
سنة ٦١ هـ. وفي «أنساب» السمعاني في (الخَزَّاز) سَنَةَ سبعين، ومثله في كتاب
«الجرح والتعديل» لابن جِبَّان وفي «روضة القضاة» لأبي القاسم السَّمْنَانِي
المعاصر للخطيب البغدادي، ويؤيد الأخير عَدُّ الحافظ محمد بن مَخْلَدٍ العطار
رواية حماد بن أبي حنيفة عن مالك من رواية الأكابر عن الأصاغر، واهتمام
أبي حنيفة بمن يَخْلُفُ النخعيَّ بعد أن بَرَعَ في علم الكلام.

وذلك في حياة جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وكان من التابعين لهم إن شاء الله بإحسان، فإنه صحَّ أنه رأى^(١) أنس بن مالك ٨ إذ قَدِمَهَا أنس / رضي الله عنه. قال محمد بن سعد: حدثنا سيف بن جابر أنه سَمِعَ أبا حنيفة يقول: رأيت أنساً رضي الله عنه.

وقال: يعقوب بن شيبه السَّدُوسي: أبو حنيفة مولى لربي تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل. وقال أبو خازم عبد الحميد القاضي: سألت

= قال العُقيلي في «الضعفاء»: حدثنا أحمد بن محمد الهروي، قال: حدثنا محمد بن المغيرة البلخي، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن سليمان الأصفهاني، قال: لما مات إبراهيم اجتمع خمسة من أهل الكوفة فيهم عمر بن قيس الماصر وأبو حنيفة، فجمعوا أربعين ألف درهم، وجاءوا إلى الحَكَم بن عُتَيْبَة، فقالوا: إنا قد جمعنا أربعين ألف درهم، نأتيك بها وتكون رئيسنا في الإرجاء، فأبى عليهما الحَكَم، فأتوا حماد بن أبي سليمان فقالوا له فأجابهم وأخذ الأربعين ألف درهم اه. والإرجاء الذي يُنسَب إليه هو إرجاء السنة المشروحة في «الرفع والتكميل» للكنوي.

وكذلك روايته عن عِدَّة من الصحابة رضي الله عنهم، كما بيَّنت في «التأنيب» وفيما علَّقتُ على «الانتصار والترجيح» لسبط ابن الجوزي، وكلُّ ذلك ما كان يصح لولا تقدُّم ميلاده على سنة ثمانين، والله أعلم (ز).

(١) بل في «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر ١: ٤٥: «روايته عن ابن جرَّء الصحابي، ولأهل العلم بالحديث عدة أجزاء في رواية أبي حنيفة عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم، فجزء أبي حامد محمد بن هارون الحضرمي، وجزء أبي الحسين علي بن أحمد بن عيسى، وجزء أبي معشر عبد الكريم الطبري في ذلك، من مرويات ابن حجر في «المعجم المفهرس» والشمس بن طولون في «الفهرست الأوسط»، وجزء أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن أحمد السرخسي مما رواه سبط ابن الجوزي في «الانتصار والترجيح» (ز).

ابن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: لمن ولأؤكم؟ فقال: سُبَيَّ ثابتٌ أبو أبي حنيفة من كابل، فاشترته امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة فأعتقته^(١).

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين: كان أبو حنيفة حسن الوجه واللحية حسن الثياب. وقال عبد الوهاب^(٢) بن زياد: رأيت أبا حنيفة بالكوفة وعليه

(١) ابن إسماعيل في سنده مجهول متأخر الطبقة، فلا يناهض قوله قول إسماعيل نفسه وقول الإمام نفسه (أبو الوفاء). ابن إسماعيل مجهول العين والصفة، فلا تثبت روايته، على أنها تخالف رواية إسماعيل بن حماد نفسه المدونة في كتاب الصيَمري وتاريخ الخطيب، حيث قال إسماعيل فيهما: «أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المَرزبان من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط...».

بل كان ولاء أبي حنيفة لتيم الله بن ثعلبة ولاء الموالاة. قال الطحاوي في «مشكل الآثار» ٤: ٥٤: سمعتُ بكار بن قتيبة يقول: «قال أبو عبد الرحمن المقرئ: أتيت أبا حنيفة فقال لي من الرجل؟ فقلت: رجل من الله عليه بالإسلام. فقال لي: «لا تقل هكذا، ولكن وال بعض هذه الأحياء ثم انتم إليهم، فإني كنتُ أنا كذلك».

ومثله في رواية ابن أعين عن أحمد بن منصور الرمادي عن المقرئ، وزاد في رواية يعقوب بن شيبه عند ابن أبي العوام «فوجدتهم حيَّ صدق».

فعلِم من ذلك أن ولاء أبي حنيفة لتيم الله بن ثعلبة، لم يكن بإسلام أحد أجداده على يد أحد من بني تيم الله، ولا بإعتاق أحدهم لأحد أجداد أبي حنيفة، فيكون ولاؤه ولاء موالاة، لا ولاء إسلام، ولا ولاء إعتاق، فتذهب الروايات المختلفة في انتقاصه بنسبه أدراج الرياح هكذا، على أن العبرة بالتقى والعلم (ز).

(٢) وفي كتاب ابن أبي العوام (عبد الواحد) وهو الصواب (ز).

طويلة^(١) سوداء. وقال علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة الكوفي بمصر: سمعت أبي يقول: رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يفتي الناس [وعليه قلنسوة طويلة] فقلت من هذا؟ قالوا: أبو حنيفة.

قال قاضي مصر أبو القاسم عبدالله بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الحارث بن أبي العوام السعدي في كتاب «فضائل أبي حنيفة»، وهو مجلد واحد: حدثني إبراهيم بن أحمد / بن سهل الترمذي، ثنا القاسم بن غسان القاضي، ثنا أبي، أنا جدي أبو غسان أيوب بن يونس، سَمِعَ النضر بن محمد يقول: كان أبو حنيفة جميل الوجه، سَرِيَّ الثوب، عَطِراً.

ولقد أتيتُه في حاجة فصليتُ معه الصبح، وعليَّ كساء قَوْمَسِي فَأَمَرَ بِإِسْرَاجٍ بَغْلِهِ وَقَالَ: أَعْطِنِي كِسَاءَكَ [لأركب في حاجتك، وهذا] كسائي [إلى أن أرجع]، ففعلتُ، فلما رجع قال: يَا نَضْرُ، أَخَجَلْتَنِي بِكَسَائِكَ، قُلْتُ: وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْهُ؟ قَالَ: هُوَ غَلِيظٌ. قَالَ النضر: وَكُنْتُ اشْتَرَيْتُهُ بِخَمْسَةِ دَنَانِيرٍ، وَأَنَا بِهِ مُعْجَبٌ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا وَعَلَيْهِ كِسَاءُ قَوْمَسِي قَوْمَتُهُ بِثَلَاثِينَ دِينَاراً.

من أخلاقه وورعه

روى الحسن بن إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، قال: كنتُ عند

(١) وهي قلنسوة كانت تُلبَس في المواقف الرسمية، وفيها يقول أبو عمرو يوسف بن هارون الكِنْدِي:

وَنَادَى بِالطَّوِيلَةِ وَهِيَ مِمَّا يَكُونُ بِرَأْسِهِ لِجَلِيلٍ أَمْرٍ
كما في كشف الطرة للألوسي ص ٢٨٤، وكان شيخه حماد بن أبي سليمان يلبسها أيضاً (ز).

الرشيد [إذ دخل عليه أبو يوسف، فقال له هارون]: صِفْ لي أخلاق أبي حنيفة، قال: كان واللَّهِ شديدَ الذَّبِّ عن حَرَامِ اللَّهِ^(١)، مُجَانِباً لِأَهْلِ الدُّنْيَا، طَوِيلَ الصَّمْتِ، دَائِمَ الْفِكْرِ، لَمْ يَكُنْ مِهْذَاراً وَلَا ثَرثاراً^(٢)، إِنْ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَانَ عَنْده مِنْهَا عِلْمٌ أَجَابَ فِيهَا، وَمَا عَلِمْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا صَائِئاً لِنَفْسِهِ وَدِينِهِ، [مَشْتَغِلاً بِنَفْسِهِ عَنِ النَّاسِ]^(٣)، لَا يَذْكُرُ أَحَدًا إِلَّا بِخَيْرٍ. فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

وقال القاسم بن غسان: سمعتُ إسحاق بن أبي إسرائيل يقول: ذَكَرَ / قَوْمٌ أَبَا حَنِيفَةَ عِنْدَ ابْنِ عِيْنَةَ فَتَنَّقَصَهُ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ سَفِيَانٌ: مَهْ! ١٠ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ أَكْثَرَ النَّاسِ صَلَاةً، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، وَأَحْسَنَهُمْ مُرُوءَةً. وَرُوي عَنْ شَرِيكَ قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، دَائِمَ الْفِكْرِ، كَبِيرَ الْعَقْلِ، قَلِيلَ الْمَحَادَثَةِ لِلنَّاسِ.

وقال الحسن بن إسماعيل بن مُجَالِدٍ: سمعتُ وَكِيعاً يَقُولُ: قَالَ

(١) وفي كتاب الحافظ ابن أبي العوَّام: فقال يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، وهو عند لسان كلِّ قائل، كان واللَّهِ أَبُو حَنِيفَةَ عِلْمِي بِهِ شَدِيدَ الذَّبِّ عَنْ حَرَامِ اللَّهِ إِلَى آخِرِهِ، وَنَحْوَهُ عِنْدَ الْإِمَامِ الْمُوْفِقِ فِي مَنَاقِبِ أَبِي حَنِيفَةَ ١: ٢٠٦، إِلَّا أَنَّهُ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّيْمَرِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْمُغَلَّسِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدِ الْجَوْهَرِيِّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ إِذْ دَخَلَ أَبُو يُوسُفَ. الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ، وَفِيهِ «عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ» (أَبُو الْوَفَاءِ).

(٢) يقال: رَجُلٌ ثَرْتَارٌ مِهْذَارٌ بِمَعْنَى كَثِيرِ الْكَلَامِ كَمَا فِي «الْأَسَاسِ».

(٣) وما بين المربعات في هذه الصفحة وغيرها مَزِيدَةٌ مِنْ ابْنِ أَبِي الْعَوَّامِ، حَيْثُ كَانَ أَصْلُ الرِّوَايَةِ مِنْ عِنْدِهِ (ز).

الحسن بن صالح بن حَيٍّ: كان أبو حنيفة شديد الخوف لله، هائباً للحرام أن يُستَحَلَّ.

وعن بشر بن يحيى: سمعتُ ابن المبارك يقول: ما رأيت رجلاً أوقَرَ في مجلسه، ولا أحسنَ سَمْتاً وجِلْماً من أبي حنيفة، ولقد كنا عنده [في المسجد الجامع]، فوقعتُ حَيَّةً من السقف في حجره، فما زاد على أن نَفَضَ حجرَه فألقاها، وما منا أحدٌ إلا هَرَبَ.

وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، قال: لما حَدَّقَ أبي حمادُ قراءةَ الفاتحة، أعطى أبو حنيفة المَعْلَمَ خمسَ مئة درهم. وقد وَرَدَ في كرم أبي حنيفة وأفضاله أخبارٌ عديدة.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: ثنا المثنى بن رعاء، قال: جَعَلَ أبو حنيفة على نفسه إن حَلَفَ بالله صادقاً في عَرَضٍ حَدِيثِهِ أن يَتَصَدَّقَ بدينار^(١)، فكان إذا حَلَفَ تَصَدَّقَ بدينار، وكان إذا أَنْفَقَ على عياله نفقةً تصدق بمثلها.

وقال أبو بكر بن عياش: لَقِيَ أبو حنيفة من الناس عَتَباً لقلَّةِ مخالطِهِ الناس، فكانوا يَرَوْنَهُ من زَهْوٍ فيه، وإنما كان ذلك منه غريزةً فيه.

وقال جُبَّارة بن المُعَلِّس: سمعتُ قيس بن الربيع يقول: كان أبو حنيفة ورعاً تقياً، مُفْضِلاً على إخوانه.

وقال لُؤَيُّ بْنُ: سمعتُ محمد بن جابر يقول: كان أبو حنيفة قليلَ

(١) وفي كتاب ابن أبي العوام: «بدرهم ثم بربع دينار ثم بدينار» متدرجاً. وفي لفظ روايته طول، وقد اختصره الذهبي كما ترى، وعادته في غالب الروايات الاختصار في هذا الكتاب (ز).

الكلام إلا بما يُسأل عنه، قليل الضحك، كثير الفكر، دائم القطوب، كأنه حديث عهد بمصيبة.

وقال زيد بن أَرْحَم: سمعتُ الخُرَيْبِيَّ يقول: كنا عند أبي حنيفة فقال له رجل: إني وضعتُ كتاباً على خطك إلى فلان، فوهب لي أربعة آلاف درهم، فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوا. ورواها الطحاوي عن أبي خازم القاضي عنه.

١١

/ شيوخ أبي حنيفة وأصحابه

تفقه بحماد بن أبي سليمان صاحب إبراهيم النخعي وبغيره، وقال: اختلفتُ إلى حماد خمس عشرة سنة^(١). وفي رواية أخرى عنه قال: صحبته عشرة أعوام^(١)، أحفظ قوله، وأسمع مسأله.

وسمع الحديث من عطاء بن أبي رباح بمكة، وقال: ما رأيتُ أفضل من عطاء. وسمع من عطية العوفي، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعكرمة، ونافع، وعدي بن ثابت، وعمرو بن دينار، وسلمة بن كهيل، وقتادة بن دعامه، وأبي الزبير، ومنصور، وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، وعدد كثير من التابعين.

تفقه به جماعة من الكبار، منهم زُفر بن الهذيل، وأبي يوسف

(١) كلاهما وهم ظاهر، ففي تاريخ الخطيب بسنده ١٣: ٣٣٣: ما معناه أنه صحبه عشر سنين، ثم ظن استغناءه عنه أياماً، لكنه عاد إليه عما قليل، فلزمه إلى أن مات، ثم صرح أنه لازمه إلى موته ثماني عشرة سنة، بل الصواب أنه اتصل به في عهد النخعي فلزمه إلى وفاته سنة عشرين ومئة هـ. كما يظهر من اعتنايه عند وفاة النخعي بمن يخلقه على ما ذكره العُقيلي (ز).

القاضي، وابنه حماد بن أبي حنيفة، ونوح بن أبي مريم المعروف بنوح الجامع، وأبو مطيع الحكم بن عبدالله البلخي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو القاضي.

وروى عنه من المحدثين والفقهاء عدّة لا يحصون، فمن أقرانه: مغيرة بن مقسم، وزكريا بن أبي زائدة، وميسرة بن كدام، وسفيان الثوري، ومالك بن مغول، ويونس بن أبي إسحاق.

وممن بعدهم زائدة، وشريك، والحسن بن صالح، وأبو بكر بن عياش، وعيسى بن يونس، وعلي بن ميسرة، وحفص بن غياث، وجريز بن عبد الحميد، وعبدالله بن المبارك، وأبو معاوية، ووكيع، والمحرابي، وأبو إسحاق الفزاري، ويزيد بن هارون، وإسحاق [بن يوسف] الأزرق، والمعافى بن عمران، وزيد بن الحباب، وسعد بن الصلت، ومكي بن إبراهيم، وأبو عاصم النبيل، وعبد الرزاق بن همام، وحفص بن عبد الرحمن البلخي، وعبيدالله بن موسى، وأبو عبد الرحمن ١٢ / المقرئ، ومحمد بن عبدالله الأنصاري، وأبونعيم، وهوذة بن خليفة، وأبو أسامة، وأبويحيى الجعفي، وابن نمير، وجعفر بن عون، وإسحاق بن سليمان الرازي، وخلائق^(١).

عبادة أبي حنيفة

قد تواتر قيامه الليل وتهجّده وتعبّده رحمه الله تعالى. قال

(١) والذين ذكرهم الحافظ أبو الحجاج المزي وحده في «تهذيب الكمال» من الرواة عن أبي حنيفة يقاربون مئة شخص، مع أنه لم يستقص ولا قارب، بل تبلغ أصحابه ألفاً (ز).

يعقوب بن شيبة: حدثني بكر، سمعت أبا عاصم النبيل يقول: كان أبو حنيفة يُسمَّى الوَتَدَ، لكثرة صلاته.

وقال حُرَيْث بن أَبِي الوراق: سمعتُ علي بن إسحاق السمرقندي، سمعتُ أبا يوسف يقول: كان أبو حنيفة يَخْتِمُ القرآنَ في كل ليلة في ركعة.

هذه حكاية غريبة. والمحفوظ ما رواه بِشْرُ بن الوليد الكِنْدِي، عن أبي يوسف قال: كنتُ أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعتُ رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: واللَّهِ لا يُتَحَدَّثُ عني بما لا أفعل! فكان يحيي الليل صلاةً ودُعاءً وتضرعاً.

وروى جَبَّان بن بِشْر، عن حَكَّام بن سَلَم، عن أبي سفيان قال: كنا نختلف إلى عَمْرُو بن مُرَّة، فكان أبو حنيفة يصلي العشاء والفجر بطهرٍ واحد.

وروى يحيى الحِمَّاني، عن أبيه، أنه قال: صحبتُ أبا حنيفة ستة أشهر، فما رأيتهُ صَلَّى الغداةَ إلا بوضوء العشاء الآخرة، وكان يختم القرآن كل ليلة عند السحر.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: ثنا المثنى بن رعاء، عن أمِّ حميد حاضنة وَلَدِ أبي حنيفة، قالت: قالت أمُّ ولد أبي حنيفة: ما توسَّدَ أبو حنيفة فِرَاشاً بليل مذ عرفته، وإنما كان نومُهُ بين الظهر والعصر في الصيف، وبالليل في مسجدهِ أول الليل في الشتاء.

وعن أبي عبد الرحمن المقرئ، قال: لورأيتُ أبا حنيفة يصلي علمتُ أنَّ الصلاةَ من هَمِّهِ.

وقال جُبَارَةُ / بن الْمُغَلَّس: سمعتُ الحُسَيْنَ الجُعْفِيَّ^(١)، وسأله رجل: أكان أبو حنيفة يؤمن بالبعث؟ فقال: أخبرني من شَهِدَهُ وهو يُرَدُّ هذه الآية: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ وهو يبيكي، ويقول: اللهم مُنَّ عَلَيْنَا وَقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ يا رحيم.

وعن سَلَمِ بن سَالِم البلخي، عن أَبِي الجَوَيْريَّة، قال: صَحِبْتُ أبا حنيفة ستة أشهر، فما رأيته ليلةً واحدةً وَضَعَ جنبه.

وقال ابنُ أَبِي العوام القاضي في «فضائل أَبِي حنيفة»: ثنا الطحاوي، ثنا أحمد بن أَبِي عِمْران، ثنا محمد بن شجاع، عن الحسن بن زياد، عن أَبِي حنيفة، قال: ربما قرأتُ في ركعتي الفجر حَزْبَيْنِ من القرآن.

قال علي بن حفص البزاز: سمعتُ حفصَ بن عبد الرحمن، سمعتُ مِسْعَرًا يقول: دخلتُ المسجدَ فرأيتُ رجلاً يصلي، فاستَحَلَّيتُ قراءته، فوقفْتُ حتى قرأ سُبْعًا، فقلتُ يركع، ثم بَلَغَ الثُلثَ، فقلتُ يركع، ثم بَلَغَ النصفَ، فلم يزل على حاله حتى خَتَمَ القرآنَ في ركعة، فنظرتُ فإذا هو أبو حنيفة.

(قال) إبراهيم بن رُسْتَم المَرْوَزِي: سمعتُ خارجةَ بنَ مصعب يقول: خَتَمَ القرآنَ في ركعة [أربعةً من الأئمة]: عثمانُ بن عفان، وتميم الداري، وسعيدُ بن جُبَيْر، وأبو حنيفة، رضي الله عنهم.

(١) حسين بن علي بن الوليد الجعفي مولا هم أبو محمد المقرئ الكوفي، أحد الأعلام والزهاد. مات سنة ثلاث ومئتين، من رواية الصحاح الستة. (أبو الوفاء).

وعن يحيى بن نصر قال: ربما ختم أبو حنيفة القرآن في رمضان ستين مرة.

محمد بن سَمَاعَةَ، عن محمد بن الحسن، عن القاسم بن معن، أن أبا حنيفة قام ليلة يُرَدَّدُ قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾، ويبكي ويتضرَّعُ إلى الصباح.

وقال محمد بن حماد بن المبارك المِصْبِصِي في «سيرة أبي حنيفة»: قال محمد بن مريح بن^(١) وكيع بن الجراح: ثنا يزيد بن كُمَيْتٍ، سمعتُ رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتَّقِ الله! فانتفض واصفرَّ وأطرق وقال: جزاك الله خيراً، ما أحوج الناس كلَّ وقت إلى من يقول لهم مثل هذا!

[وقال يزيد بن كُمَيْتٍ] فَتَحَ غَلامٌ لأبي حنيفة يوماً رِزْمَةً خَزَّ، فإذا الأَخْضَرُ / والأحمر والأصفر، فقال الغلام: نسأل الله الجنة. فبكى ١٤ أبو حنيفة حتى اختلج صُدْغَاهُ وَمَنْكِبَاهُ، وأمرَ بَغْلَقِ الدكان، وقام مغطى الرأسِ مسرعاً، فلما كان من الغد جلستُ إليه فقال: يا أخي، ما أجرأنا؟! يقول أحدنا نسأل الله الجنة! إنما يسأل الله الجنة من راضٍ نفسه — يعني لها — إنما يريد مثلنا أن يسأل الله العفو.

وروى الخطيب في «تاريخه» من جهة أسد بن عمرو، قال: صلَّى أبو حنيفة فيما حُفِظَ عليه صلاةُ الفجر بوضوءِ العِشاءِ أربعين سنة، فكان عامَّةَ الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة^(٢)، وكان يسمع بكاءه بالليل حتى

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب (عن)، حيث يبعد سماعُ حفيد وكيع من يزيد بن كُمَيْتٍ (ز).

(٢) في سند هذا الخبر أحمد بن الحسين البلخي وحماد بن قريش، وهما من المجاهيل، فلا يثبت خبرهما، بل في الخبر نفسه ما يكذبه (ز).

يرحمه جيرانه، وحُفِظَ عليه أنه خَتَمَ القرآن في الموضع الذي تُوفي فيه سبعة آلاف مرة^(١).

أخبرني بهذا المسلم بن علان إجازةً، أنا أبو اليُمْن الكِندي، أنا أبو منصور الشيباني، أنبأ أبو بكر الخطيب، أنا علي بن المُحَسِّن، أنا أحمد بن محمد بن يعقوب الكاغذي، ثنا عبدالله بن محمد الحارثي بُيُخَارِي، أنبأ أحمد بن الحسين البَلْخِي، ثنا حماد بن قريش، سمعتُ أسدَ بنَ عَمْرٍو فذكره.

وقال مِسْعَرُ بن كِدَام: رأيتُ أبا حنيفة قرأ القرآن في ركعة.

وعن ابن المبارك قال: مكث أبو حنيفة مدةً يصلي الخمس بوضوء واحد.

وقال بعضهم: قال حماد بن أبي حنيفة: لما غَسَلَ الحسنُ بن عُمارة أبي قال: غَفَرَ اللهُ لك، لم تُفْطِرْ منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسَّد يمينك بالليل منذ أربعين سنة، ولقد أتعبتَ مَنْ بَعْدَكَ، وَفَضَحْتَ القراء.

وقال حامد بن آدم المروزي: سمعتُ ابن المبارك يقول: ما رأيتُ أَوْرَعَ من أبي حنيفة، وقد جُرَّبَ بالسياط والأموال.

[وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه: ثنا [جدي، أخبرني] عبدالله بن الحسن بن المبارك، عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، ١٥ قال: مررتُ مع أبي بالكُنَاسة فبكى، فقلتُ له: يا أبتِ / ما يبكيك؟ قال: يا بُنَيَّ في هذا الموضع ضَرَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ جَدَّكَ عشرةَ أيام، في كل يوم عشرة أسواطٍ على أن يَلِيَ القضاء فلم يفعل.

(١) لا يصح هذا، لأنه لم يسكن بغداد وإنما أُشْخِصَ من الكوفة إلى بغداد، وكان بها في السجن مدة (أبو الوفاء).

[وقال أحمد بن منصور] الرَّمَادِي: ثنا عبدُ الرزاق. قال: ما رأيتُ أحداً أحلَمَ من أبي حنيفة، كنا جلوساً معه في مسجد الخيف، فسأله رجلٌ عن مسألة فأفتاه، فقال الرجل: قال الحسن البصري كذا وكذا، فقال [أبو حنيفة]: أخطأ الحسن، فجاء رجلٌ مُعْطَى الوجه، فقال: يا ابنِ الفاعلة! تقول أخطأ الحسن! فهَمَّ الناسُ به، فقال [أبو حنيفة]: أقول: أخطأ الحسن وأصاب ابنُ مسعود.

قال محمد بن مליح بن^(١) وكيع: نا يزيد بن كُمَيْت، سمعتُ أبا حنيفة وشمته رجلٌ واستطال عليه وقال له: يا كافر يا زنديق. فقال أبو حنيفة: غفر الله لك، هو يعلمُ مني خلافَ ما تقول.

[قال] إبراهيم بن عبد الله الهروي: سمعتُ يزيد بن هارون يقول: ما رأيتُ أحداً أحلَمَ من أبي حنيفة.

الواقدي: ثنا القاسم بن معن، قال أخذَ ابنُ هُبَيْرَةَ أبا حنيفة، فأرادَه على ولاية القضاء، فأبى فحبسه، فقيل لأبي حنيفة: إنه حَلَفَ أَنْ لَا يُخْرِجَكَ حَتَّى تَلِيَ لَهُ، وإنه يُريدُ بناءً، فتَوَلَّى له عَدَّ اللَّيْنِ، فقال: لو سألتني أن أعُدَّ له أبوابَ المسجد لم أفعل.

وقال علي بن مَعْبُد بن شداد: ثنا عُبيد الله بن عمرو الرُّقِّي، قال: ضَرَبَ ابنُ هُبَيْرَةَ أبا حنيفة على أن يلي القضاء فأبى، فقال الناس: استتابه.

وذكرَ أبو حنيفة [عند ابن المبارك]، فقال: ماذا يقالُ في رجلٍ عُرِضَتْ عليه الدنيا والأموالُ فنبذها، وضُرِبَ بالسياط فصَبَرَ عليها، ولم يَدْخُلْ فيما كان غيره يستدعيه!

(١) ولعل الصواب (عن) كما سبق (ز).

محمد بن شجاع الثَّلْجِي: حَدَّثَنِي حَبَّانُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ حِينَ ضُرِبَ لَيْلِيَ الْقَضَاءِ: مَا أَصَابَنِي فِي ضَرْبِي شَيْءٌ أَشَدُّ عَلَى مِنْ غَمٍّ وَالِدَتِي، وَكَانَ بِهَا بَرًّا!

يعقوب بن شيبة: ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمُبَارَكِ، نَا بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَشْخَصَ الْمَنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَى أَنْ يُؤَلِّيَهُ، فَأَبَى، ١٦ فَحَلَفَ عَلَيْهِ لِيَفْعَلَنَّ، وَحَلَفَ أَبُو حَنِيفَةَ / أَنْ لَا يَفْعَلَ، فَقَالَ الرَّبِيعُ الْحَاجِبُ: أَلَا تَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْلِفُ؟ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كِفَارَةِ أَيْمَانِهِ أَقْدَرُ مِنِّي. فَأَبَى أَنْ يَلِيَ، فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ فَمَاتَ فِيهِ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الْخَيْرَانِ.

رواها يعقوب بن شيبة، عَنْ بِشْرٍ، وَرَوَاهَا أَيْضاً إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الزَّهْرِي الْكُوفِي عَنْ بِشْرٍ، فَزَادَ فِيهَا: فَسُجِنَ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى حُمَيْدِ الطُّوسِيِّ شُرْطِيَّةً، فَأَرَادَ أَنْ يُؤْذِيَهُ فَقَالَ: يَا شَيْخُ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْفَعُ إِلَيَّ الرَّجُلَ، وَيَقُولُ لِي: اقْتُلْهُ، أَوْ اقْطَعْهُ، أَوْ اضْرِبْهُ، وَلَا عِلْمَ لِي بِقِصَّتِهِ؟ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هَلْ يَأْمُرُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرٍ قَدْ وَجَبَ، أَوْ بِأَمْرٍ لَمْ يَجِبْ؟ قَالَ: بَلْ بِمَا قَدْ وَجَبَ. قَالَ: فَإِذَا أَمَرَكَ بِقَتْلِ وَاجِبٍ أَوْ ضَرْبِ مُتَعَيِّنٍ، فَبَادِرْ إِلَيْهِ فَإِنَّكَ مُاجِرٌ فِي ذَلِكَ.

يحيى الجُمَانِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يُضْرَبُ عَلَى أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ فَيَأْبَى، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَبْكِي، وَقَالَ: أَبْكِي غَمًّا عَلَى وَالِدَتِي!

وَعَنْ مُغِيثِ بْنِ بَدِيلٍ، قَالَ: دَعَا أَبُو جَعْفَرٍ أَبَا حَنِيفَةَ إِلَى الْقَضَاءِ فَامْتَنَعَ، فَقَالَ: أَتَرْغَبُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ فَقَالَ: لَا أَصْلَحُ لِلْقَضَاءِ. قَالَ لَهُ: كَذَبْتَ. قَالَ: قَدْ حَكَمَ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي لَا أَصْلَحُ، لِأَنَّهُ نَسَبَنِي إِلَى الْكَذِبِ، فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَلَا أَصْلَحَ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنِّي لَا أَصْلَحُ، فَحَبَسَهُ.

إسماعيل بن أبي أُوَيْس: سمعتُ الربيع بن يونس يقول: رأيتُ المنصور يُنازلُ أبا حنيفة في أمر القضاء. فقال: واللَّهِ ما أنا بمأمونٍ الرضا، فكيف أكون بمأمونٍ الغضب؟ فلا أصلحُ لذلك، فقال: كذبتَ أنتَ تَصْلُح. قال: وكيف يَحِلُّ لك أن تولي من يكذب.

قال أبو بكر الخطيب: وقيل: إنه وَلِيَ القضاء يومين، [ولم يَأْتِه فيهما أحد، وقَضَى في اليوم الثالث^(١)] في قضية واحدة، ثم اشتكى ستَّة أيام [ثم مات].

وقال أبو عبدالله الصيمري الفقيه بسندٍ له: لم يَقْبَل أبو حنيفة العهد بالقضاء، فَضْرَبَ مئةَ سوط، وَحُبِسَ ومات في السجن، كذا قال. وقيل: حَمَلَتْ إليه عَشْرَةُ آلاف، فَوُضِعَتْ له في الدار، فاغْتَمَّ ولم ينطق، ومكثَتْ تلك / البَدْرَةُ في مكانها، فلما مات أبو حنيفة حَمَلَهَا وَلَدُهُ إلى ١٧ الذي جاء بها وهو الحسن بن قَحْطَبَة، فقال: هذه وديعتك. فنَظَرَ إليها الحسن وقال: رحم الله أباك! لقد شَحَّ على دينه، إذ سَخَتْ به أنفُسُ أقوام.

وَيُرَوَّى أَنَّ ابنَ هُبَيْرَةَ لَمَّا بلغه أن أبا حنيفة حَلَفَ أنه لا يتولى القضاء، فقال: يُعَارِضُ يميني بيمينه؟! فَأَمَرَ به فَضْرَبَ عشرين سوطاً على رأسه، فقال: أَذْكَرُ مَقَامَكَ بين يدي الله، فإنه أَذْلُ من مَقَامِي بين يديك، فلا تَهْدُرْ دمي، فإني أقول: لا إِلَهَ إلا الله. فأومأ إلى الجِلاَد أمْسِكْ، فأصْبَحَ أبو حنيفة في السجن وقد انتَفَخَ رأسُه ووجهُه من الضرب. وقيل غير ذلك.

(١) زيادة من تاريخ الخطيب (أبو الوفاء).

محمد بن علي بن عفان العامري: ثنا الوليد بن حماد اللؤلؤي، ثنا الحسن بن زياد اللؤلؤي، سمعت أبا يوسف يقول: اجتمعنا عند أبي حنيفة في يومٍ مَطِيرٍ، في نفرٍ [من أصحابه] منهم داود الطائي، والقاسم بن معن، وعافية بن يزيد، وحفص بن غياث [ووكيع بن الجراح، ومالك بن مِغُول]، وزفر.

فأقبل علينا بوجهه وقال: أنتم مسأروا قلبي، وجلاء حزني، وأسرجت لكم الفقه أَلْجَمْتُهُ، وقد تركت الناس يطؤون أعقابكم، ويلتمسون ألفاظكم، ما منكم واحد إلا وهو يصلح للقضاء.

فسألتكم بالله وبقدّر ما وهب الله لكم من جلاله العلم لِمَا صُتِمُوهُ عن ذل الاستئجار، وإن بليّ أحد منكم بالقضاء، فعلم من نفسه خربة سترها الله عن العباد لم يَجْزِ قضاؤه، ولم يَطِبْ له رِزْقُهُ، فإن دَفَعْتُهُ ضرورةً [إلى الدخول فيه] فلا يَحْتَجِبَنَّ عن الناس^(١)، وليُصَلِّ الخمسَ في مسجده، ويُنادي عند كل صلاة: من له حاجة؟ فإذا صَلَّى العشاء نادى ثلاثة أصوات: من له حاجة؟ ثم دخل إلى منزله.

فإن مَرَضَ مرضاً لا يستطيع الجلوس معه، أسَقَطَ من رِزْقِهِ بقدر مَرَضِهِ، وأيماً إمامٍ غَلَّ فَيْئاً، أوجار في حكم، بطلت إمامته ولم يَجْزِ حكمه^(٢).

عن الحسن بن زياد قال أبو حنيفة: إذا ارتشى القاضي فهو معزول وإن لم يُعزَل.

(١) وعند ابن أبي العوام: فلا يجعلن بينه وبين الناس حجاباً (أبو الوفاء).

(٢) زاد ابن أبي العوام: وإن أذنب ذنباً بينه وبين ربه عز وجل يستوجب به الحد دُرِيءٌ عنه الحد، لأنه وليّ إقامته، وإن كان شيئاً بينه وبين الناس أقامه عليه أقربُ القضاة إليه (أبو الوفاء).

/ ذِكْرُ مَنْ وَصَفَهُ بِالْفِقْهِ

عن الأعمش أنه سئل عن مسألة فقال: إنما يُحسِنُ هذه النعمانُ بن ثابت الخزاز، وأظنه بُورك له في علمه.

يوسف بن موسى، سمعت جريراً يقول: كان الأعمش إذا سُئل عن الدقائق أرسلهم إلى أبي حنيفة، وقد قال مغيرة له: ألا تأتي أبا حنيفة. يحيى بن أكثم، عن جرير، قال: قال لي مغيرة: جالس أبا حنيفة تَفَقَّه، فإن إبراهيم لو كان حياً لجالسه.

شبابة بن سوار قال: كان شعبة حَسَنَ الرأي في أبي حنيفة، كثير الترحم عليه.

عبيد الله بن موسى، سَمِعْتُ مِسْعَرًا يقول: رَحِمَ الله أبا حنيفة إن كان لَفَقِيهًا عالماً.

حُسين الجُعْفِي، سمعتُ زائدة [بن قدامة] يقول: النعمانُ بن ثابت فقيهُ البدن، لم يَعُدْ ما أدرك عليه أهل الكوفة.

وعن أبي بكر بن عَيَّاش قال: كان النعمانُ بن ثابت أَفَقَّهَ أهل زمانه.

أبو نعيم، سمعتُ علي بن صالح بن حُيَيِّ يقول: لما مات أبو حنيفة: ذَهَبَ مفتي العراق وفقيهُها.

بِشْرُ الحافي، سمعتُ عبد الله بن داود الخريبي يقول: إذا أردت الآثار فسفيان الثوري، وإذا رَأَدْتَ تلك الدقائق فأبو حنيفة.

رَوْح بن عُبَّادة قال: كنتُ عند ابن جريج فقيل له: مات أبو حنيفة، فقال: رحمه الله، لقد ذَهَبَ معه علم كثير.

المُثنى بن رجاء سمعتُ سَعِيدَ بن أَبِي عَرُوبَةَ يقول: كان أبو حنيفة عالمَ العراق.

قال يزيد بن هارون: أفقَهُ من رأيتُ أبو حنيفة.

وعن شَدَّاد بن حكيم: ما رأيتُ أعلمَ من أبي حنيفة في زمانه.

الحلوانيُّ قلتُ لأبي عاصم النبيل: أبو حنيفة أفقَهُ أوسفيان؟ فقال: أبو حنيفة.

عبدُ الرزاق قال: قال ابنُ المبارك: إن كان (الاحتياج) إلى الرأي فهو أسدُّهم [رأياً].

وعن ابن المبارك قال: لولا أن الله قد أدركني بأبي حنيفة وسفيان لكنتُ بدِّعياً.

يحيى بن آدم سمعتُ الحسنَ بنَ صالح يقول: كان أبو حنيفة فهِماً بعلمه، متبثِّتاً فيه، إذا صَحَّ عنده الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَعْذُه إلى غيره.

١٩ المُرَزيُّ وغيره، سمعتُ الشافعيَّ يقول: / الناسُ عيالٌ على أبي حنيفة في الفقه.

إسحاق بن بُهْلُول، سمعتُ ابنَ عينية يقول: ما مَقَلَّتْ عَيْنِي مثلَ أبي حنيفة.

إبراهيمُ بن عبد الله المروزي الخَلَّال، سمعتُ ابنَ المبارك يقول: كان أبو حنيفة آيةً.

أحمدُ بن الصباح، سمعتُ الشافعيَّ يقول: قيل لمالك: هل رأيتَ

أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلاً لو كلّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجّته.

أحمد بن محمد بن مُغلّس^(١): ثنا محمد بن مقاتل، سمعتُ ابن المبارك يقول: إن كان الأثرُ قد عُرِفَ واحتيجَ إلى الرأي، فرأى مالكٌ وسفيان وأبي حنيفة، وأبو حنيفة أحسنُهم وأدقهم فطنة، وأغوصُهم على الفقه، وهو أفقه الثلاثة.

سلمة بن شبيب، سمعتُ عبد الرزاق، سمعتُ ابن المبارك يقول: إن كان أحدٌ ينبغي له أن يقول برأيه فأبو حنيفة.

(١) هو أحمد بن محمد بن الصلت بن المُغلّس الحِمّاني، حَدَّثَ عن ثابت بن محمد الزاهد، وأبي نُعيم الفضل بن دُكَيْن، وعفان بن مسلم. وعنه أبو عُمرو بن السماك، وأبو علي بن الصواف، وأبو الفتح بن محمد، قال الخطيب: بعض الناس يقولون: أحمدُ بن الصلت يضعُ الأحاديث. قال: توفي سنة ثمان وثلاث مئة. (أبو الوفاء).

وفي تاريخ الخطيب ٢٠٩: ٤: أخبرنا علي بن المُحسن التنوخي، حدثني أبي، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان بن الصباح النيسابوري بالبصرة، حدثنا أبو علي الحسن بن محمد الرازي، قال: قال لي عبدالله بن أبي خيثمة، قال لي أبي حمد بن أبي خيثمة: اكتبُ عن هذا الشيخ يا بني فإنه كان يكتبُ معنا في المجالس منذ سبعين سنة — يعني أحمد بن الصلت بن المغلس الحِمّاني. وقال الخطيب: في إسناد هذه الحكاية غيرُ واحد من المجهولين، فلا أبعدُ أن تكون موضوعة. ثم أطال النفسُ في توهين أحمد بن الصلت، لهوى معروفٍ في الخطيب في أبي حنيفة وأصحابه. وقد أشبعتُ الكلامَ في تمحيص هذا البحث في تأنيب الخطيب ص ١٦٥ - ١٦٦، بما لا يتسع المقامُ لنقل ذلك فليراجع (ز).

وقال حبان بن موسى : سئل ابن المبارك أمالكُ أفقه أم أبو حنيفة؟
فقال : أبو حنيفة .

بشر الحافي قال : قال الخريبي : ما يقع في أبي حنيفة إلا جاهل
أو حاسد .

أبو مسلم الكجّي ، عن محمد بن سعد الكاتب ، عن الخريبي أنه
قال : يجبُ على أهل الإسلام أن يدعوا اللهَ لأبي حنيفة في
صلاتهم .

وعن مكي بن إبراهيم قال : كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه .

يحيى بن معين ، سمعتُ يحيى بن سعيد القطان يقول : لا تكذبُ
الله ، ما سمعنا أحسنَ من رأي أبي حنيفة ، وقد أخذنا بأكثرِ أقواله .

يحيى بن أبي طالب ، سمعتُ علي بن عاصم يقول : لو وُزِنَ عِلْمُ
٢٠ / أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح .

طلّح بن غنّام النخعي ، سمعتُ حفص بن غياث يقول : كلامُ
أبي حنيفة أدقُّ من الشعر ، لا يعيبه إلا جاهل .

الحُمَيْدي ، سمعتُ سفيان بن عيينة يقول : شيئانِ ما ظننتهما أن
يتجاوزا قنطرة الكوفة : قراءة حمزة ، ورأي أبي حنيفة ، وقد بلغا
الآفاق .

ومن قوله في الرأي

نُعَيْم بن حماد ، سمعتُ أبا عَصَمَةَ وهو نُوحُ الجامع قال : سمعتُ
أبا حنيفة يقول : ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس

والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان من غير ذلك فهم رجالاً ونحن رجالاً^(١).

جماعة قالوا: قال ابنُ معين: سمعتُ عُبيدَ بنَ أبي قُرَّة، سمعت

(١) قلت: هذا لفظ ابن أبي العوام إلا أنه ذكر العينين مكان العين، وقال: فنحن رجال وهم رجال والباقي سواء.

وذكر ابن عبد البر هذه الرواية في «الانتقاء» ص ١٤٤، عن إبراهيم بن هانئ النيسابوري قال: قيل لنعيم بن حماد: ما أشد إزراءهم على أبي حنيفة! فقال: إن يُنْقَمَ على أبي حنيفة ما حدثنا عنه أبو عصمة قال: سمعت أبا حنيفة يقول: ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعينين، وما جاءنا عن أصحابه اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال، وأما غير ذلك فلا تسمع التشنيع.

وفي «تبييض الصحيفة» للسيوطي ص ٢٩، عن نعيم بن حماد قال: سمعتُ عبد الله بن المبارك يقول: قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا كان عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اخترنا ولم نخرج من قولهم، وإذا كان عن التابعين زاحمناهم.

وذكر الموفق بن أحمد نحوه في ١: ٧٧ عن أبي حمزة السكري، عن الإمام، وقال سمعتُ هذا الحديث أيضاً في مسند أبي حنيفة برواية عبد الله بن المبارك، عن أبي حنيفة فقال: إذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين. والباقي سواء. وسمعتُه أيضاً في «مناقب الصيمري» بألفاظ مختلفة. وروى أيضاً بسنده عن الحسن بن عبد الكريم بن هلال، عن أبيه، عن الإمام نحوه، ولفظه في التابعين: وإذا جاء من بعدهم أخذت وتركت ١: ٨٠.

وأخرج ابنُ خُسْرُو في أول «مسنده» عن نعيم بن حماد، عن ابن المبارك عن الإمام: وإذا كان من التابعين زاحمناهم. (أبو الوفاء).

يحيى بن الضَّرِير يسَـقول: شهدْتُ الثَّورِيَّ وأتاه رجل فقال: ما تَنَقُّمُ على أبي حنيفة؟ قال: وما له؟ قال: سمعته يقول: آخِذْ بكتاب الله، فما لم أجد فبِسُنَّةِ رسول الله [والآثارِ الصحاحِ عنه التي فَشَتْ في أيدي الثقاتِ عن الثقاتِ]، فإن لم أجد فبقولِ أصحابه آخِذْ بقولِ من شئتُ، ٢١ وأما إذا انتهَى الأمرُ إلى إبراهيمَ والشَّعبي والحسن وعطاء / فأجتهدُ كما اجتهدوا.

فسكتَ سفيانٌ طويلاً، ثم قال كلماتٍ ما بَقِيَ أحدٌ في المجلس إلا كتبها: نَسَمِعُ الشَّدِيدَ من الحديثِ فنخافُه، ونَسَمِعُ اللَّيِّنَ فَنرجوه، ولا نحاسِبُ الأحياءَ، ولا نقضي على الأمواتِ، نُسَلِّمُ ما سَمِعنا، ونَكِلُ ما لم نعلمه إلى عالمِهِ، ونَتَّهَمُ رأينا لرأيهم.

وكيع، سمعت أبا حنيفة يقول: البَوْلُ في المسجد أحسنُّ من بعض القياس.

محمد بن شجاع الثَّلَجِي، سمعتُ إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة يقول: قال أبو حنيفة: هذا الذي نحن فيه رأي، لا نُجبرُ عليه أحداً، ولا نقول: يجبُ على أحدٍ قبولُه، فمن كان عنده أحسنُّ منه فليأتِ به. الحسن بن زياد اللؤلؤي قال: قال أبو حنيفة: عَلِمْنَا هذا رأي، وهو أحسنُّ ما قَدَرْنَا عليه، ومن جاءنا بأحسنَ منه قَبَلناه منه.

قال ابن حزم: جميعُ أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن مذهبَ أبي حنيفة أنَّ ضعيفَ الحديثِ أولى عنده من القياس والرأي.

قال عُبَيْد الله بن عمرو الرَّقِّي: كنا عند الأعمش وعنده أبو حنيفة، فسُئِلَ الأعمشُ عن مسألة فقال: أفْتِهِ يا نعمان، فأفتاه أبو حنيفة، فقال:

من أين قلتَ هذا؟ قال: لحديثٍ حَدَّثْتَنَاهُ أَنْتَ! ثم ذَكَرَ لَهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَشُ: أَنْتُمْ الْأَطْبَاءُ وَنَحْنُ الصِّيَادِلَةُ.

أحمد بن أبي خيثمة: نا إبراهيم بن بشار، عن سفيان بن عيينة قال: مررتُ بِأَبِي حَنِيفَةَ فِي الْمَسْجِدِ وَإِذَا أَصْحَابُهُ حَوْلَهُ قَدْ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ، فَقُلْتُ: أَلَا تَنَاهَمُ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسْجِدِ؟ قَالَ: دَعَهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَتَفَقَّهُونَ إِلَّا بِهَذَا.

فصل

قال عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ: حَدَّثَنِي أَبُو نَعِيمٍ: سَمِعْتُ زُفَرَ بْنَ الْهَدَيْلِ يَقُولُ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَجْهَرُ فِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ جَهْرًا شَدِيدًا، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِمَنْتِهِ حَتَّى تُنَوِّتِي فُتُوزَعَ فِي أَعْنَاقِنَا الْحَبَالُ، قَالَ أَبُو نَعِيمٍ: فَغَدَوْتُ أُرِيدُ أَبَا حَنِيفَةَ، فَلَقِيْتُهُ رَاكِبًا يَرِيدُ وَدَاعَ عَيْسَى بْنِ مُوسَى قَدْ كَادَ وَجْهُهُ يَسْوَدُّ، فَقَدِمَ بَغْدَادَ فَأَدْخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ.

محمد بن شجاع الثلجي، سمعتُ الحسن بن أبي مالك، سمعتُ أبا يوسف، سمعتُ أبا حنيفة يقول: يَقْدَمُ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ / صِنْفَانِ - يَعْنِي مِنْ خِرَاسَانَ: الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُشَبَّهَةُ.

النضر بن محمد، عن أبي حنيفة أنه قال: جَهْمٌ وَمُقَاتِلٌ كَانَا فَاسِقَيْنِ، أَفْرَطَ هَذَا فِي التَّشْبِيهِ، وَهَذَا فِي النَّفْيِ.

قال أبو يوسف: قال أبو حنيفة: لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُحَدِّثَ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا مَا يَحْفَظُهُ مِنْ وَقْتٍ مَا سَمِعَهُ.

شعيب بن أيوب الصَّرِيفِينِي: ثَنَا أَبُو يَحْيَى الْجِمَّانِي، سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رُؤْيَا أَفْزَعَتْنِي، رَأَيْتُ كَأَنِّي أَنْبَشُ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَيْتُ الْبَصْرَةَ فَأَمَرْتُ رَجُلًا يَسْأَلُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ،

فقال: هذا رجل يَنْشُرُ أخبارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: هذا رجل يَنْشُرُ علم النبوة.

ورَوَى محمد بن شجاع الثلجي، عن الحسن بن أبي مالك، عن أبي يوسف، قال: رأى أبو حنيفة كأنه يَنْبِشُ قَبْرَ النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأخذ عِظَامَهُ يجمعها ويؤلفها فهاله ذلك، فأوصى صَدِيقاً له إذا قَدِمَ البصرة أن يَسْأَلَ ابن سيرين، فسأله فقال: هذا رجل يَجْمَعُ سُنَّةَ النبي وَيُحْيِيهَا.

وقال علي بن عاصم: سمعت أبا حنيفة يقول: رأيتُ كأنني نبشتُ قَبْرَ النبي صلى الله عليه وسلم فَجَزَعْتُ وَخِفْتُ أن يكون رِدَّةً عن الإسلام، فَجَهَّزْتُ رجلاً إلى البصرة، فَقَصَّ على ابن سيرين الرؤيا، فقال: إن صَدَقْتُ رؤيا هذا الرجل فإنه يَرِثُ عِلْمَ نبي.

ابن أبي رَزْمَةَ، عن عَبْدِانَ، أنه سمع ابن المبارك يقول: إذا سمعتهم يذكرون أبا حنيفة بسوءٍ ساءني ذلك، وأخاف عليهم المقت من الله تعالى.

علي بن مَعْبَد، ثنا الشافعي قال: قال الليث بن سعد: كنتُ أَسْمَعُ بذكر أبي حنيفة، فأَتَمْنَى أن أراه، فإني لبمكة إذ رأيتُ الناس مُتَقَصِّفِينَ على رجل، فسمعتُ رجلاً يقول: يا أبا حنيفة. فقلت: إنه هو. فقال: إني ذو مال، وأنا من خراسان، ولي ابنٌ أَزَوَّجُهُ المرأة، وأنفقُ عليه المالَ الكثير، فَيُطْلَقُهَا فيذهبُ مالي، وأشتري له الجارية بالمالِ الكثير فيُعْتِقُهَا، فيذهبُ مالي، فهل من حيلة؟

قال أبو حنيفة: أدخِلْهُ سَوْقَ الرقيق، فإذا وقعت عينُه على جارية فاشترها لنفسك، ثم زَوَّجها إياه، فإن طلقها رَجَعَتْ مملوكَةً لك، وإن

أعنتها لم يَجُزْ عَتَقُهُ. قال الليثُ: فوالله ما أعجبنى صوابُهُ كما أعجبنى
 ٢٣ سرعة جوابه. وَرَوَى نحوها الطحاوي / بإسناد آخر إلى الليث.

محمد بن شجاع، سمعتُ علي بن عاصم يقول: لو وُزِنَ عقلُ
 أبي حنيفة بعقلِ نصفِ أهل الأرض لَرَجَحَ بهم.

قال الطحاوي: سمعتُ محمد بن العباس وأحمد بن أبي عمران
 يذكران أن إسماعيل بن محمد بن حماد، قال: شككتُ في طلاق
 امرأتي، فسألت شريكاً فقال: طَلَّقْهَا وَأَشْهَدْ عَلَى رَجْعَتِهَا، ثم سألتُ
 سفيان الثوري فقال لي: [اذهبْ فراجعْها]، فإن كنتَ طَلَّقْتَهَا فقد
 راجعتَها، ثم سألتُ زُفْرَ بن الهذيل فقال لي: هي امرأتك حتى تتيقن
 طلاقَها، فأتيتُ أبا حنيفة فقال لي: أما سفيان فأفتاك بالورع، وأما زفر
 فأفتاك بعين الفقه، وأما شريك فهو كرجل قلتَ له: لا أدري أصاب ثوبي
 بولٌ أم لا؟ فقال لك: بُلْ على ثوبك واغسله^(١).

محمد بن شجاع، سمعتُ الحسن بن زياد اللؤلؤي يقول: أتيتُ
 داود الطائي أنا وحماد بن أبي حنيفة، فَجَرَى ذِكْرُ شيء، فقال داود
 لحماد: يا أبا إسماعيل مهما تكلم فيهِ المتكلم بشيء، رجاء أن يسلم

(١) رأيت في مجموعة بخط الحافظ البرزالي هذه القصة من غير طريق الطحاوي،
 يَذْكُرُ فيها أبا حنيفة بدل زفر، ثم يسأل السائل زفرَ فيقول زفرُ: هل سألتَ غيري
 فيقول: نعم، ثم يسردُ السائل أجوبة هؤلاء، فيقول زفرُ: الصوابُ ما قاله
 أبو حنيفة، أضربُ لك مثلاً: أنت مررتَ بثَعْبٍ يَسِيلُ ماءً، فأصاب ثوبك، قال
 لك أبو حنيفة ثوبُك طاهر، وصلاتك تامة، حتى تستيقن أمرَ الماء، وقال لك
 سفيان: اغسله، فإن يك نجساً فقد طهر، وإن يك نظيفاً زاده نظافة، وقال لك
 شريك: اذهبْ قُبْلَ عليه ثم اغسله (ز).

منه، فليحذر أن يتكلم في القرآن إلا بما قال الله عز وجل فيه، فلقد سمعتُ أباك يقول: أعلَمنا الله أنه كلامُه، فمن أخذَ بما علَّمه الله فقد استمسك بالعروة الوثقى، فهل بعد التمسك بالعروة الوثقى إلا السقوطُ في الهَلَكَة؟! فقال حماد لداود: جزاك الله خيراً فنعَم ما أشرتَ به.

علي بن الحسن بن شقيق، حدثني إسحاق بن الحسن الكوفي، قال: جاء رجل إلى سوق الخَزَازين بالكوفة يسأل عن دكان أبي حنيفة الفقيه، فقال له أبو حنيفة: ليس هو بفقيه هو مُفْتٍ متكلِّفٌ.

محمد بن شجاع الثلجي، سمعتُ جَبَّان يقول: أتت امرأةُ أبا حنيفة بثوب فقال: بكم هو؟ قالت: بمئة درهم، قال لها: هو خيرٌ من ذلك. ٢٤ قالت: بمئتين؟ / قال: هو خيرٌ من ذلك. قالت: بثلاث مئة؟ قال: هو خير من ذلك. قالت: بأربع مئة. فاشتراه بأربع مئة.

وقيل: إن رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فقال: بِعْني ثوبين وأحسِنْ بيعي، قال: أي لون تريد؟ فوصف له، فقال أُنْتَظِرْني جُمُعَتَيْنِ؟ قال: نعم، فذهب ثم جاءه بعد ذلك، فدفع إليه الثوبين وديناراً، وقال: إني لم أحسِنْ إليك، إني جعلتُ لك بضاعةً، فُرِزَتْ من عند الله فأحمدُهُ. فقالوا لأبي حنيفة، فقال: أَلَمْ تَسْمَعُوا إلى قوله: وأحسِنْ بيعي؟

حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر قال: إذا قال الرجل للرجل أحسِنْ بيعي فقد ائْتَمَنَهُ.

عُبَيْد بن يعيش: ثنا وكيع، قال: كان سفيان إذا قيل له: أُمُؤْمِنُ أنت؟ قال: نعم، وإذا قيل له: عند الله قال: أرجو. وكان أبو حنيفة يقول: أنا مؤمن ها هنا وعند الله.

قال أبو بَشر الدُّولابيُّ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدَانَ ، حَدَّثَنِي الضَّبِّيُّ
مُؤَدَّبُ الْمُعِزِّ ، قَالَ : كَانَ أَبُو أُسَيْدٍ يَجَالِسُ أَبَا حَنِيفَةَ ، وَكَانَ شَيْخاً عَفِيفاً
مَغْفُلاً^(١) ، فَقَالَ مَرَّةً فِي مَجْلِسِ أَبِي حَنِيفَةَ لِرَجُلٍ : ارْفَعْ رَكْبَتَكَ فَإِنِّي أُرِيدُ
أَنْ أَبُولَ ، وَإِنَّمَا أُرَادُ أَنْ يَبْزُقَ . فَقَالَ الرَّجُلُ لِأَبِي حَنِيفَةَ : أَلَا تَسْمَعُ
مَا يَقُولُ ؟ قَالَ أَبُو أُسَيْدٍ : أَلَيْسَ يَقَالُ : إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَجَالِسْهُمْ بِقِلَّةٍ
السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ؟ فَضَحِكَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالْقَوْمُ مِنْهُ .

وَكَانَ أَبُو أُسَيْدٍ جَالِساً فِي الشَّارِعِ ، إِذْ مَرُّوا بِبَكْرَةِ سَمِينَةٍ^(٢) ، فَقَالَ :
لَيْتَهَا لِي ! قَالُوا : مَا تَصْنَعُ بِهَا ؟ قَالَ : أَخْتِنُهَا وَأَنْحِرُ ابْنِي !

قَالَ : وَتَهَيَّأَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَلَبَسَ ثِيَابَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَتَطَيَّبَ وَخَرَجَ
وَجَلَسَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ عَطَّارٍ ، فَتَحَدَّثَ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَقَوْمُ بِنَا
إِلَى الْجُمُعَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا أُسَيْدٍ الْيَوْمَ الْأَحَدُ ، النَّاسُ يَغْلُطُونَ بِيَوْمٍ وَأَنْتَ
تَغْلُطُ بِالْأَسْبُوعِ كُلِّهِ ! قَالَ : مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ الْجُمُعَةُ .

قَالَ : وَمَرِضَ فَعَادَهُ أَبُو حَنِيفَةَ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟
قَالَ : بِخَيْرٍ ، قَالَ : أَطْعَمُوكَ الْيَوْمَ شَيْئاً / قَالَ : نَعَمْ مَرَقَةً رُبَّ ٢٥

(١) لعله يريد بذكر نواذر أبي أسيد هنا: الإشارة إلى مبلغ رحابة صدر أبي حنيفة،
ودرجة تلافه مع من يتردد إلى مجلسه ولو لم يكن من طلاب العلم، ولم تكن
مجالس أهل العلم تخلو من بعض المغفلين المترددين إليها من غير قابلية
عندهم للعلم، وكان العلماء يتلطفون معهم ويصبرون على نواذرهم، حذراً من
كسر خواطريهم بزجرهم لئلا يجتمع عندهم الحرمان من العلم مع الهوان
المكشوف (ز).

(٢) أي بناقة سمينية.

جُمَيْزٍ وَرُمَّانٍ^(١)! فَضَحِكَ أَبُو حَنِيفَةَ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ فِي عَافِيَةٍ.

داود بن رُشَيْد: ثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن أبي حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم، قال: أخبرني من رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مُسْنَمًا عليه أفلاق من حجارةٍ بِيضٍ.

الطحاوي، سمعتُ أحمد^(٢) [بن أبي عمرانَ يقول: سمعتُ هلال بن يحيى يقول: سمعتُ يوسف] بن خالد السَّمْتِيَّ يقول: جالستُ أبا حنيفة سنتين ونصفَ سنة، فما سمعته لَحَنَ في شيء إلا في حرف واحد، زَعَمَ أهلُ اللغة أنَّهُ له فيه مَخْرَجًا.

محمد بن أحمد بن حفص فقيه بخارى، عن أبي وهب محمد بن مُزاحم أو غيره، عن ابن المبارك، قال: ما لَزِمْتُ سفيانَ حتى جَعَلْتُ عِلْمَ أبي حنيفة هكذا، وأشار بقبضِ يده.

وقال أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أبي العوام السعدي قاضي مصر: حدثني إبراهيم بن أحمد الترمذي، سمعتُ أبا نصر محمد بن محمد بن سلام البلخي، سمعتُ نُصَيْرَ بن يحيى البلخي يقول: قلتُ

(١) هكذا في الأصل، والمَرْقَةُ لا تكون إلا من اللحم، وقد جعلها أبو أسيد من الرُبِّ، «والرُبُّ» بالضم والإهمال: المُرَبَّى المصنوع من الفواكه، لكن الجُمَيْز من أردأ الفواكه، قلما يُصنع منه مُرَبَّى، إلا أن ما يَرُغَبُ فيه مثلُ أبي أسيد يكون شيئاً من هذا القبيل، مما لا يَرُغَبُ فيه سواه ولا سيما في حالة المرض (ز).

(٢) كان في الأصل «أحمد بن خالد» وقد سقط منه ما كان بين «أحمد» و«بن»، فزدته من كتاب ابن أبي العوام، ذكره عند ذكر خالد بن يوسف (أبو الوفاء).

لأحمد بن حنبل: ما الذي تَنَقُّمُ على هذا الرجل؟ قال: الرَّأْيُ قَلْتُ: فهذا مالك ألم يتكلَّم بالرأي؟ قال: بلى، وَلَكِنْ رَأْيُ أَبِي حَنِيفَةَ خُلِدَ فِي الْكُتُبِ، قَلْتُ: فَقَدْ خُلِدَ رَأْيُ مَالِكٍ فِي الْكُتُبِ. قال: أَبُو حَنِيفَةَ أَكْثَرُ رَأْيًا مِنْهُ. قَلْتُ: فَهَلَا تَكَلَّمْتُمْ فِي هَذَا بِحَصَّتِهِ وَهَذَا بِحَصَّتِهِ؟! فَسَكَتَ.

فصل في وَرَعِهِ سَوَى مَا تَقْدَمُ

قال ابنُ كَأْسٍ الْقَاضِي: ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَكَمِ الْجَبَرِيُّ^(١)، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصِ الْبِزَازِ، قَالَ: كَانَ حَفْصُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَرِيكَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يُجَهِّزُ عَلَيْهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَنَّ فِي ثَوْبٍ كَذَا عَيْبًا، فَإِذَا بَعَثَهُ فَبَيَّنَّ، فَنَسِيَ حَفْصٌ وَبَاعَهُ / مِنْ غَيْرِ تَبَيَّنَ مِنْ رَجُلٍ ٢٦ غَرِيبٍ، وَعَلِمَ أَبُو حَنِيفَةَ فَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ ثَمَنِهِ. قَالَ أَبُو نَعِيمٍ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ حَسَنَ الدِّينِ، عَظِيمَ الْأَمَانَةِ.

قال محمد بن إسحاق بن خلف البَكَّائِي^(٢): نا جعفر بن عون

(١) وقع في الأصل (الحسن بن الحكم الجبري)، وصوابه: (الحُسَيْنُ) بالتصغير، كما في «أخبار الصيمري» ص ٣٤، و«تاريخ بغداد» ١٣: ٣٥٨، و«الأنساب» للسمعاني ٤: ٤٥، و«تبصير المتنبه» لابن حجر ١: ٣٦٣. و (الجَبَرِيُّ) بكسر الحاء وفتح الباء، نسبة إلى (الجَبَرَة) نوعٍ من الثياب، كما في «الأنساب» (أبو الوفاء).

(٢) محمد بن إسحاق بن عون، ويقال: خلف البَكَّائِي (بالتفتح) ثم العامري. روى عن يعلى بن عبيد، وجعفر بن عون، وأبي غسان النهدي، وأحمد بن يونس، وخالد بن مخلد، وعبيد الله بن موسى، وقبيصة وغيرهم، وعنه ابن ماجه، وأبو عوانة، ومحمد بن المنذر شَكَّرَ، والهيثم بن خلف الدُّورِي، وأبو العباس أحمد بن محمد وغيرهم، ذكره ابن حبان في «الثقات». مات في شعبان سنة أربع وستين ومئتين (أبو الوفاء).

وغيره أَنَّ امرأةً أَتَتْ أَبَا حَنِيفَةَ تَطْلُبُ مِنْهُ ثَوْبَ خَزْ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ فَبِعْنِيهِ بِمَا تَقَوِّمُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: خُذِيهِ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ. فَقَالَتْ: لَا تَسْخَرْ بِي. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنِّي ابْتَعْتُ ثَوْبَيْنِ فَبِعْتُ أَحَدَهُمَا بِرَأْسِ الْمَالِ إِلَّا أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ.

علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك، قال: سُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: طَلَبُ الْعِلْمِ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: مَا اشْتَدَّ عَلَيْكَ.

وعن خارجة بن مُصْعَبٍ قَالَ: أَجَازَ الْمَنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دَرَاهِمٍ، وَدُعِيَ لِيَقْبِضَهَا، فَشَاوَرَنِي، ثُمَّ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ إِنْ رَدَدْتُهَا عَلَيْهِ غَضِبَ، وَإِنْ قَبَلْتُهَا دَخَلَ عَلَيَّ [فِي دِينِي] ^(١) مَا أَكْرَهُهُ. فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا الْمَالَ عَظِيمٌ فِي عَيْنِهِ، فَإِذَا دُعِيَ لَتَقْبِضَهَا فَقُلْ لَمْ يَكُنْ هَذَا أَمَلِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَفَعَلَ، وَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَحَبَسَهَا عَنْهُ ^(٢).

وعن الحسن بن زياد اللؤلؤي قَالَ: وَاللَّهِ مَا قَبِلَ أَبُو حَنِيفَةَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَائِزَةً وَلَا هَدِيَّةً، يَعْنِي الْأُمَرَاءَ.

محمد بن عبد الملك الدَّقِيقِي، سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ يَقُولُ: لَمْ أَرِ أَعْقَلَ، وَلَا أَفْضَلَ، وَلَا أَوْرَعَ، مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

أَبُو قَلَابَةَ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي يَقُولُ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ تَبَيَّنَ عَقْلُهُ فِي مَنْطِقِهِ وَفِعْلِهِ وَمِشْيَتِهِ وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ.

قال عبد الحميد الحِمَّانِي: مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ دِينًا وَوَرَعًا.

(١) ما بين المربعين زيادة من مناقب الموفق ١: ٢١١ (أبو الوفاء).

(٢) ولفظ الموفق «دُعِيَ لِيَقْبِضَهَا»، فقال ذلك فَرُفِعَ إِلَيْهِ خَبَرُهُ فَحَبَسَ الْجَائِزَةَ (ز).

محمد بن علي بن عفان، ثنا يحيى بن عبد الحميد الجُماني، عن أبيه قال: كنتُ عند أبي حنيفة، فجاءه رجل فقال: سمعتُ سفيانَ يَنالُ منك ويتكلمُ فيكَ، / فقال: غَفَرَ اللهُ لنا ولِسفيان، لو أنَّ سفيانَ فُقِدَ في ٢٧ زمن إبراهيم النخعي لدَخَلَ على المسلمين فَقُدَّه.

محمد بن الصقر بن مالك بن مِغُول^(١)، سمعتُ إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة يقول: قال أبو حنيفة: اسْتَحْلَ مني ابنُ أبي ليلى ما لا أَسْتَحِلُّهُ أنا من بهيمة^(٢).

أبو يحيى بنُ أبي مَيْسَرَةَ: ثنا خَلَاد بن يحيى قال: قال مِسْعَرُ بن كِدَام: طلبتُ مع أبي حنيفة الحديثَ فغَلَبْنَا، وأَخَذْنَا في الزهد فَبَرَعَ علينا، وطلبنا معه الفقه فجاء منه ما تَرَوْن.

قال ابنُ كَاس: ثنا أبو بكر المَرْوُذِيُّ، سمعتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: لم يَصِحَّ عندنا أن أبا حنيفة رحمه الله قال القرآنُ مخلوق، فقلتُ: الحمدُ لله يا أبا عبد الله، هو من العلم بمنزلة، فقال: سبحان الله! هو من العلم والورع والزهد وإيثارِ الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحدٌ، ولقد ضُربَ بالسياط على أن يلي القضاء لأبي جعفر فلم يفعل.

(١) هكذا في الأصل، فُنُسِبَ إلى جده لِأُمِّ أبيه، لأنه «ابن عبد الرحمن ابن بنت مالك بن مِغُول». كما في الميزان واللسان وتاريخ الخطيب والتأنيب ص ٢٩ و ٥٩ (ز).

(٢) وفي لفظ ابن أبي العوام «من سِنُورَةٍ» بدل «من بهيمة» (ز). قلتُ: وفي مناقب الموفق ٢: ١٣، من رواية شعبة بن عبد الرحمن بن إسحاق، عن محمد بن خارجة الصيرفي، عن الإمام بلفظ «إن ابن أبي ليلى يستحل مني ما لم أكن مستحلاً له من سِنُورَةٍ وَحِمَارَةٍ» (أبو الوفاء).

يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني، عن أبيه، سَمِعَ أبا حنيفة يقول: جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ الْخِرَاسَانِي كَافِرٌ^(١).

فصل في الاحتجاج بحديثه

اختلفوا في حديثه على قولين، فمنهم من قَبَلَهُ ورآه حُجَّةً^(٢)، ومنهم من لَبَّيْته لكثرة غَلَطِهِ في الحديث ليس إلا.

٢٨ قال علي بن المديني: قيل ليحيى بن سعيد / القطان: كيف كان حديثُ أبي حنيفة؟ قال: لم يكن بصاحب حديث^(٣).

(١) أما ما يقال من أنه قال له: «اخرُجْ يا كافر» فلم أرْهُ بسند متصل، وإن كان عند جهم بدع مكفرة (ز).

(٢) وعليه جمهورُ الفقهاء وأهل الحديث الأيقاظ من غير متعصبة الحشوية، والثاني زَعَمُ أَذْيَالِ الحشوية الجهلة من النقلة المتعصبة، وهم ممن لا يُقَامُ لكلامهم وزن! فدونك ابنُ عدي صاحب «الكامل»، تراه يحمل ما وَقَعَ في كلامِ شيخه أَبَاءِ بْنِ جَعْفَرٍ من أوهام له في أحاديثِ أَبِي حَنِيْفَةَ على الإمام نفسه ظلماً وعدواناً، وقد أَضْضَتْ في هذا البحث في تَأْنِيْبِ الخطيب (ز).

(٣) في سند هذا الخبر في «تاريخ الخطيب» ابنُ حَيَّوِيه، كان ضعيفاً متساهلاً في الرواية، يحدث من كتب ليس عليها سَمَاعُهُ، وبمثل هذا السند لا يَثْبُتُ عن ابنِ المدينيِّ شيء، بل ابنُ المديني نفسه لم يَنْجُ من جروح الرواة حتى قال قائلهم فيه:

يا بن المدينيِّ الذي عُرِضَتْ له دُنْيَا فجاد بِدِينِهِ لِنِالِهَا!
نعم أبو حنيفة لم يكن متفرغاً للرواية، يَعْقِدُ لصنوف النقلة مجالسَ تحديث، بل كان مجلسُهُ مجلسَ تَفْقِيهِ، يَحْضُرُهُ المتدربون على الاستنباط من أَذْكِيَاءِ المتفقهة، بل كبارُ المجتهدين المتخرجون عليه، فيحدثهم بمناسبات، وصاحبُ الحديث عندهم هو المتفرغ لروايته بدون العناية بالتفقه فيه، وأين التفقيه والتفقه في الدين من الرواية المجردة؟ (ز).

قلتُ: لم يَصْرِفِ الإمامُ هِمَّتَهُ لضبطِ الألفاظِ والإسنادِ، وإنما كانت هِمَّتُهُ القرآنَ والفقه^(١). وكذلك حالُ كلِّ من أقبلَ على فنٍّ، فإنه يَقْصُرُ عن غيره.

من ثَمَّ لِينُوا حديثَ جماعةٍ من أئمةِ القراءِ كحفص، وقالون، وحديثَ جماعةٍ [من]^(٢) الفقهاءِ كابن أبي ليلَى، وعثمانَ البَتِّي، وحديثَ جماعةٍ من الزهادِ كَفَرَقْدَ السَّبْخِي، وشقيقِ البلخي، وحديثَ جماعةٍ من النحاة، وما ذاكَ لضعفٍ في عدالةِ الرجلِ، بل لقلّةِ إتقانه للحديث، ثم هو أنبلُ من أن يَكْذِبَ.

وقال ابنُ معينٍ فيما رواه عنه صالحُ بنُ محمدَ جَزَرَةَ وغيرُهُ: أبو حنيفةٌ ثقةٌ.

(١) الذهبي لم يحرر المقام تحت تأثير خلطائه من الحشوية المنحرفين البعداء عن تعقل دقة مدارك أبي حنيفة ومنزلته السامية في سعة العلم، وليس شأن المجتهد، الذي دان له شطرُ الأمة بل ثلثاها، وجَرَى باقي الأئمة على نُورِ تأصيله وتفريعه مدى القرون: أن يُغفَلَ ضبطُ الحديثِ إسناداً ومُتناً، مع قربِ عهده من حضرةِ المصطفى صلى الله عليه وسلم، لكن الهوى يجعل الضابط الثقة ضعيفاً غالباً!

وأين المتفرغُ إلى الاجتهاد ملتفاً حوله كبارُ المجتهدين المتخرجون عليه من المتفرغ للقضاء أو القراءة أو الزهد؟ والاجتهادُ في مثله لا يتم إلا بالتضلع في الكتاب والسنة والآثار، وفي معرفةِ مواقعِ الإجماع والخلاف، لكن ذنبُ أبي حنيفة أن أكثرَ القضية الذين امتَحَنُوا الرواة في عهدِ المأمون كانوا على مذهبه، فانتقموا منهم بالنيل من إمامهم! سامحهم الله. وتفصيلُ هذا البحث في «التأنيب» (ز).

(٢) كان لفظ «من» ساقطاً من الأصل فزدته هنا لتصح العبارة (أبو الوفاء).

وقال أحمد بن محمد بن القاسم بن مُحَرِّز، عن يحيى بن معين: لا بأس به^(١). وقال أبوداود السجستاني: رَحِمَ الله مالكاً كان إماماً، رَحِمَ الله أبا حنيفة كان إماماً.

/ فَضْلٌ فِي مَثَوْرِ أَخْبَارِهِ

٢٩

روى الخطيب من طريق أحمد بن عطية: ثنا الحسن بن الربيع، نا قيس بن الربيع: كان أبو حنيفة يَبِيعُ بالبضائع إلى بغداد، فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة، وَيَجْمَعُ الأرباحَ عنده من سنة [إلى سنة]^(٢)، فيشتري بها حوائجَ الأشياخ المحدثين وأقواتهم وِكِسْوَتَهُمْ [وجميعَ حوائجهم]، ثم يُعْطِيهِمْ^(٣) ويقول: لا تَحْمَدُوا إلا الله، [فإني] ما أعطيتكم من مالي شيئاً، ولكن من فضل الله عليّ فيكم^(٤).

(١) قال الخطيب: أخبرنا ابنُ رَزَق، حدثنا أحمد بن علي بن عمرو بن حُبَيْش الرازي، سمعت محمد بن أحمد بن عصام يقول: سمعتُ محمد بن سعد العَوْفِيّ يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: «كان أبو حنيفة ثقةً، لا يُحَدِّثُ إلا ما يَحْفَظُ، ولا يُحَدِّثُ بما لا يَحْفَظُ» وهذا يقضي على من يرميه بقلّة الضبط.

وقد أخرج ابن عبد البر في «الانتقاء» بسنده عن ابن معين أيضاً أنه قال عن أبي حنيفة: «إنه ثقة، ما سمعت أحداً ضَعُفَهُ». فظهر أن تضعيفه حَدَثَ فيما بعد ابن معين حيث استفحل شرُّ الحشوية البُعْدَاءِ عن الفهم (ز).

(٢) ما بين المربعات من هذه الصفحة زيد من تاريخ الخطيب (أبو الوفاء).

(٣) ولفظ الخطيب في تاريخه «ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم فيقول: أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله» (أبو الوفاء).

(٤) زاد الخطيب في تاريخه «وهذه أرباح بضائعكم فإنها هي والله مما يُجْزِيهِ الله لكم على يدي، فما في رزق الله حول لغيره» (أبو الوفاء).

قد جاء غير حكاية في جُود أبي حنيفة وبذله لتلامذته
كأبي يوسف وغيره.

محمد بن علي بن عفان العامري، ثنا نمر بن
حدّاد، عن أبي يوسف، قال: دعا المنصورُ أبا حنيفة فقال الربيعُ
الحاجبُ - وكان يعادي أبا حنيفة: يا أمير المؤمنين، هذا يخالفُ جدّك
ابنَ عباس، كان يقول إذا حَلَف ثم استثنى بعدَ يوم أو يومين جاز
الاستثناء، وهذا لا يُجوزُ الاستثناء إلا متصلاً باليمين!

فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، إن الربيع يزعمُ أنه ليس لك في
رقابِ جدّك بيعه! قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى
منزلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع،
لا تعرّض لأبي حنيفة.

يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني، سمعتُ ابن المبارك يقول: رأيتُ
الحسنَ بنَ عُمارةَ أخذاً بركاب أبي حنيفة وهو يقول: واللّه ما أدركنا
أحدًا تكلم في الفقه / أبلغ، ولا أصبر، ولا أحضر جواباً منك، وإنك
سيدٌ من تكلم في وقتك غير مدافع، وما يتكلمون فيك إلا لحسد.

سفيان بن وكيع، سمعتُ أبي يقول: دخلت على أبي حنيفة
فرأيتُه مطرقاً مفكراً، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من عند شريك،
فأنشأ يقول:

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيْظًا بِمَا يَجِدُ

فصل في وفاة أبي حنيفة

قيل: إنه بقي في نفس المنصور من أبي حنيفة، لقيامه مع إبراهيم بن عبد الله، على المنصور، وكان أبو جعفر لا يُصطَلَى له بنار، وفيه جبروت وشهامة، قال بشر بن الوليد: مات أبو حنيفة بالسجن ببغداد، ودُفِنَ في مقابر الخيزران.

أحمد بن قاسم البرتي، عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف قال: مات أبو حنيفة في نصف شوال سنة خمسين ومئة.

وقال الواقدي وغيره مات أبو حنيفة في رجب سنة خمسين ومئة، وله سبعون سنة.

وقال أبو حسان الزياتي ويعقوب بن شيبة: مات في رجب سنة خمسين.

وجاء عن بعضهم: مات في شعبان. وفي رجب أصح. وبلغنا أن المنصور سقاه السم فأسودَّ ومات شهيداً، رحمه الله تعالى.

ومن حديثه

أخبرنا أبو المعالي أحمد^(١) بن إسحاق بن محمد [بن المؤيد] الهمداني بمصر، أنا أبو القاسم المبارك بن أبي الجود ببغداد، أنا أحمد بن أبي غالب الزاهد، أنا أبو القاسم عبدالعزيز بن علي الأنماطي، أنا أبو الطاهر (المُخَلَّص) محمد / بن عبد الرحمن الذهبي، سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، ثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي، ثنا

(١) هو الأبرقوهي (ز).

إسحاق بن أبي إسرائيل، أنا أبو يوسف، ثنا أبو حنيفة، عن علقمة بن مَرْدَد، عن سليمان بن بُرَيْدَة، عن أبيه قال:

أتى ماعزُ بْنُ مالكٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأقرَّ بالزنا، فردَّه، ثم عاد فأقرَّ بالزنا، فردَّه، ثم عاد فأقرَّ بالزنا، فردَّه، فلما كان في الرابعة سأل عنه قومه: هل تُنكرون من عقله شيئاً؟ قالوا: لا. فأمر به فرُجِمَ في موضع قليلٍ الحجارة، فأبطأ عليه الموتُ، فانطلق يَسْعَى إلى موضع كثيرٍ الحجارة، واتبَّعه الناسُ فرجموه حتى قتلوه.

ثم ذكروا شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما يصنع، فقال: فلولا^(١) خَلَيْتُمْ سَبِيلَهُ! قال فسأل قومه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) واستأذَنوه في دَفْنِهِ والصلاةِ عَلَيْهِ فأذِنَ لهم في ذلك، وقال: لقد تاب توبةً لو تابها فِتْنَامٌ من الناس قُبِلَ منهم.

أخبرنا العباس بن أحمد بن عبد الرحمن، وأبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن، وأبو عبد الله محمد بن خازم الحنبليون، قالوا: أنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله التَّغْلِبِي، زاد أبو الفداء: فقال: وأنا أبو محمد بن قُدَّامة، قالوا: أنبأ أبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن

(١) وفي مسند الحارثي من طريق أبي سعد وأسد بن عمرو والمقري عن الإمام «هلا». ومن طريق الحسن بن عمر بن شقيق وأبي يوسف وكذا من طريق محمد وأبي معاوية عن الإمام «لولا». ومن طريق أبي يحيى الحماني «ألا». ومن طريق حمزة الزيات «فلولا» كما هنا (أبو الوفاء).

(٢) وعند الحارثي في هذا الحديث «ثم ذكروا شأنه وما صَنَعَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لولا خَلَيْتُمْ سَبِيلَهُ. قال: فاستأذَن قَوْمُهُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم»

هلال، أنا أبو الفضل عبد الكريم بن المؤمل الكَفَرطابي حُضوراً سنة
إثنتين وتسعين وأربع مئة، أنا عبدالرحمن بن عثمان التميمي، أنا
خَيْثَمَة بن سليمان القرشي بدمشق، أنا إسحاق بن سَيَّار بنَصِييين، ثنا
عُبَيْدُ اللَّهِ بن موسى، عن أَبِي حنيفة، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله
عنهما، قال: نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ خيبر عن مُتعةِ
النساء.

/ ومن المَنَاماتِ المُبَشِّرَةِ لأبي حنيفة

٣٢

قال القاسم^(١) بن غَسَّان القاضي: ثنا أبي، ثنا أبو نعيم، قال:
دخلتُ على الحسن بن صالح يومَ موتِ أخيه، فرأيتُهُ يَسْتَطعم شيئاً من
رجل^(٢) وَيَضْحَك، فقلت: تَدْفِنُ أخاكَ علياً غُدوةً وَتَضْحَكُ آخِرَ
النهار^(٣)!

قال: ليس على أخي من بأس. قلتُ: وكيف ذاك؟ قال: دخلتُ
عليه فقلتُ: كيف تَجِدُكَ؟ قال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين [وَحَسَنَ أولئك رفيقاً]، فتوهمته يتلو الآية.

عليه وسلم في دفنه والصلاة عليه، الحديث» إلا أن راوي أبي يوسف في
المسند الحسن بن عمر بن شقيق وهنا إسحاق (أبو الوفاء).

(١) كان في الأصل «أبو القاسم». والصواب «القاسم» كما هو عند
ابن أبي العوام، وكما سيجيء أيضاً (أبو الوفاء).

(٢) وكان في الأصل «يستطعم حديثاً» والصواب «يستطعم شيئاً من رجل»، كما
هو عند ابن أبي العوام (أبو الوفاء).

(٣) وعند ابن أبي العوام «صَدَرَ نهاره» (أبو الوفاء).

ثم قلت: يا أخي: كيف تجِدُكَ؟ قال: مَعَ الذين أنعم الله عليهم وأعاد الآية، فقلت: أنقرأ أم تَرى شيئاً؟ قال: أفلا تَرى ما أرى؟ قلت: لا، [فماذا تَرى]؟ قال: بلى ورفَعَ يده فقال: [هذا] نبيُّ الله محمد صلى الله عليه وسلم يَضْحَكُ إِلَيَّ وَيُشْرِنِي بِالْجَنَّةِ، وهؤلاء الملائكةُ معه [كذلك] بأيديهم حُلُلُ السُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ^(١)، وهؤلاء الحُورُ الْعِينُ متحلياتٍ متزِيناتٍ ينتظرن متى أَصِيرُ إِلَيْهِنَّ. فتكلَّم بهذا^(٢) وقَضَى رَحْمَةً الله عليه، فلماذا أَحْزَنُ عليه وقد صار إلى نعيم؟

قال أبو نُعَيْمٍ: فلما كان بعدَ أيام صِرْتُ إلى الحسن بن صالح، فقال [لي حين رآني] يا أبا نُعَيْمٍ، علمتَ أني رأيتُ أخي البارحةَ [في منامي، كأنه صار إليَّ] وعليه ثيابٌ خضر، فقلت [له: يا أخي] أليس قد مِتَ^(٣)؟ قال: بلى. قلتُ فما هذه الثياب التي عليك؟ قال: السُّنْدُسُ وَالْإِسْتَبْرَقُ، ولك يا أخي عندي مثلُها.

قلتُ: ماذا فَعَلَ بك ربك؟ قال: غَفَرَ لي وبأبي بي وبأبي حنيفة رضي الله عنه الملائكة. قلت: أبو حنيفة النعمان بن ثابت؟ قال: نعم. قلتُ: وأين / منزله؟ قال: نحن في جوار في أعلى عِلِّيِّين. قال القاسم: ٣٣ قال أبي: فكان أبو نُعَيْمٍ إذا ذَكَرَ أبا حنيفة [أو ذَكَرَ بين يديه] يقول: يَخِ يَخِ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ^(٤)!

(١) وزاد ابن أبي العوام «وأطباق الطيب» (أبو الوفاء).

(٢) وعند ابن أبي العوام «فقال هذا» (أبو الوفاء).

(٣) وفي كتاب ابن أبي العوام «ألست قد مِتَّ» (أبو الوفاء).

(٤) زاد ابن أبي العوام «ثم يذكُرُ هذا الحديث» (أبو الوفاء).

أبو بشر الدُّولابي: ثنا أحمد بن القاسم البرقي، حدثني أبو علي أحمد بن محمد بن أبي رجاء، سمعتُ أبي يقول: رأيتُ محمد بن الحسن في المنام، فقلتُ: إلامَ صِرتَ؟ قال: غُفِرَ لي. قلتُ: بم؟ قال: قيل لي: لم نجعل هذا العلمَ فيك إلا ونحن نَغْفِرُ لك.

قلتُ: فما فَعَلَ أبو يوسف؟ قال: فوقنا بَدْرَجَة. قلتُ: فأبو حنيفة؟ قال: في أعلى عِلِّيِّين.

محمد بن حماد المِصْبِصِي مولى بني هاشم، حدثني إبراهيم بن واقد، ثنا المطلب بن زياد، أخبرني جعفر بن الحسن إمامنا، قال: رأيتُ أبا حنيفة في النوم فقلتُ له: ما فَعَلَ الله بك يا أبا حنيفة؟ قال: غُفِرَ لي. قلتُ له: بالعلم؟ قال: ما أَضُرَّ الفتوى على صاحبها! قلتُ: بم؟ قال: بقولِ الناس في ما لم يَعْلَمْهُ مني.

محمد بن حماد أيضاً، ثنا محمد بن إبراهيم الليثي، ثنا حُسين الجُعْفِي، ثنا عَبَاد التَّمَّار، قال: رأيتُ أبا حنيفة في النوم فقلتُ: إلامَ صِرتَ؟ قال: إلى سعةِ رَحْمَتِهِ. قلتُ: بالعلم؟ قال: هيهات! للعلم شروط وآفات، قَلَّ من ينجو. قلتُ: فبِمَ ذاك؟ قال: بقولِ الناس في ما لم أَكُنْ عليه. والله أعلم بالصواب^(١).

(١) انظر إلى هذه المبشرات وأسانيدها، وقد خَتَمَ الذهبي «جزأه» بها، ثم انظر إلى ما خَتَمَ به الخطيب ترجمة أبي حنيفة في تاريخه، لَتَعْتَبِرَ بمبلغ ما ينطوي عليه الخطيبُ من الخبث البالغ.

وفي سند أقصوصته، التي يتخيلها المتخيل في نومه أويَقْظَتِهِ، عبدالله بن جعفر بن درستويه، الذي ضَعَفَه البرقاني واللالكائي واتهم برواية ما لم يسمعه إذا دُفِعَ إليه درهم، والخطيبُ يشتم الناس على لسانه بعد أن سعى في تبرئته مما رُمِيَ به.

لكنَّ أكتافَ الخطيب تَضَعُفُ عن حمل التهم الموجهة إليه بحق. ويعقوبُ بنُ سفيان شيخُه في السند، قيل عنه: إنه كان يتكلم في عثمان رضي الله عنه، فمثله إذا تكلم في أبي حنيفة لا يُستغرب. وشيخُه عبد الرحمن هورُسْتَه الذي تكلم فيه الحافظ أبو مسعود الرازي كلاماً شديداً، وابنُ المديني كان قويَّ الصلة بأحمد بن أبي دُوَادٍ في محنة أهل الحديث، فترك أبو زرعة وأحمد الرواية عنه بعد المحنة، وبشَّرُ بن أبي الأزهر إمامُ أصحاب أبي حنيفة بنيسابور في عصره، ومن أتبع أهل العلم لأبي حنيفة. فلا تكون الرؤيا بمثل ذلك السند إلا مختلقةً على لسانه. نسأل الله السلامة (ز).

بعون الله تعالى تمت ترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان
ويليها
ترجمة الإمام أبي يوسف، رضي الله عنهما

تَرْجَمَةُ الْأَمَامِ ابْنِ يُونُسَ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيِّ

وُلِدَ سَنَةَ ٦٧٣ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٨ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلَّهِ العَدْلِ في قضاائه، المتطوِّلِ بِنِعَمَائِهِ، العَلِيِّ في كِبَرِيَّائِهِ، وصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ أَشْرَفِ أَنْبِيَائِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيماً إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ.

هذه ترجمةُ الإمام أبي يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خُنَيْسٍ^(١) بن سَعْدٍ بن بَحِيرٍ^(٢) بن معاوية الأنصاري.

عُرِضَ سَعْدٌ بن بَحِيرٍ يَوْمَ أُحُدٍ على النبي صلى الله عليه وسلم فاستصغره. وهو سَعْدٌ بن حَبْتَةَ، شَهِدَ الخَنْدَقَ وما بعدها، وَإِنَّ حَبْتَةَ هي ابْنَةُ خَوَاتٍ بن بَحِيرٍ الأنصاري.

وَنَسَبُ سَعْدٍ في بَجِيلَةٍ، وإنما حَالَفَ الأنصار. ومن ولده النعمانُ بنُ سَعْدٍ الراوي عن علي رضي الله عنه، وأخوه خُنَيْسٌ بن سَعْدٍ.

(١) هكذا عند الطحاوي أيضاً، لكن حَقَّقَ ابن أبي العوام أَنَّ خُنَيْساً ليس في عمود نَسَبِ أبي يوسف، وإنما هو أخو حبيبٍ لا أبوه، وهكذا أيضاً عند وكيع القاضي (ز).

(٢) بالفتح والإهمال (ز).

وُلِدَ أَبُو يَوْسُفَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ وَمِئَةِ بِالْكُوفَةِ (١).

وَكَتَبَ الْعِلْمَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ.

فَسَمِعَ مِنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَالْأَعْمَشِ،
٣٨ وَيزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، وَعُبَيْدِ اللَّهِ / بْنِ عَمْرٍو
أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِي، وَحَجَّاجَ بْنَ أَرْطَاةَ وَطَبَقَتِهِمْ (٢).

(١) هذا ما ذكره الطحاوي وجرى عليه الجمهور، أخذاً بأحدث الروايات في
المواليِد احتياطاً، لكن قال أبو القاسم علي بن محمد السَّمْنَانِي المتوفى
سنة ٤٩٩هـ في «روضة القضاة»: «توفي أبو يوسف وله تسع وثمانون سنة على
خلاف في ذلك». ومثله في «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري، فيكون
ميلاده سنة ثلاث وتسعين، وبين التاريخين تفاوت عظيم كما ترى.
ولعل ميلاده كتب في بعض النسخ القديمة بالرقم هكذا (٩٣)، فانطمس
رأس (٩)، أو كان غير بارز فشابه (١)، فقرأ القارىء أن ميلاده سنة (١٣)،
ولظهور أن ميلاده ليس بهذا القَدَمُ عُدَّ هذا بعد المئة الأولى، وإنما حُدِثَ
المئة اختصاراً كما هو المعتاد في المئات عند الأمن من الخطأ، فَجَرَى
ذكر (١١٣) كميلادٍ له - على إصلاح الرقم ظناً - في غالب الكتب.
وإلى ما ذهب إليه السَّمْنَانِي جَنَحَ صاحب «أخبار الأول» وصاحب «روضات
الجنات» تقريباً. ويُستأنس فيما ذهبوا إليه بقول أبي يوسف: «إن طال بالناس
الزمن رجعوا إلى فتى من أهل المدينة»، يُريدُ مالكاً، كما في جزء «مارواه
الأكابر عن مالك» للحافظ محمد بن مخلد العطار المتوفى سنة ٣٣١هـ بسنده
إليه، ولو لم يكن أبو يوسف أكبرُ سنّاً من مالك أو في سنِّه لما صح أن يقول عنه
هذا القول. ومواليِدُ السلف فيها اضطرابٌ كبيرٌ لتأخر تدوين كتب الوفيات.
والله أعلم (ز).

(٢) ومن شيوخه محمد بن إسحاق صاحب المغازي، وقد أسند المَوْفَّقُ الخوارزمي في
«مناقب أبي حنيفة» في ٢: ٢٣١، بطريق محمد بن موسى الحاسب، عن =

وتفقه / بأبي حنيفة، وهو أجل أصحابه.

إسحاق بن أبي إسرائيل قال: كان أبو يوسف يقول: «اختلفتُ إلى أبي حنيفة في التعلم منه، ولكن كان لا يفوتني سَمَاعُ الحديث من المشايخ. فَقَدِمَ محمدُ بنُ إسحاق صاحبُ المغازي الكوفة، فاجتمعنا إليه وسألناه أن يقرأ علينا كتابَ المغازي فأجابنا إلى ذلك، فتركتُ الاختلاف إلى أبي حنيفة، وأقمتُ على محمد بن إسحاق أشهراً، حتى سمعتُ الكتابَ منه.

فلما فرغ منه رجعتُ إلى أبي حنيفة، فقال لي: يا يعقوب ما هذا الجفاء؟ قلت: لم يكن ذلك، ولكن قَدِمَ محمدُ بنُ إسحاق المديني ها هنا، فاشتغلتُ بسماع المغازي منه. فقال لي: يا يعقوبُ إذا رجعتُ إليه فسله من كان مُقَدِّمة طالوت؟ وعلى يَدَي من كان رايةً جالوت؟ فقلت: دعنا من هذا يا أبا حنيفة، فوالله ما أَقْبَحَ بالرجل يدَّعي العلم، فَيُسأل أَبَدْرُ كان قَبْلُ أم أُحَدِّثُ؟ فلا يعرفه!». وهذا كلام لا غَبَارَ عليه، إذ لا لوم على أبي يوسف في أن ينتقي مما عند مثل محمد بن إسحاق في المغازي، ولا على أبي حنيفة في عدم اطمئنانه إلى علم محمد بن إسحاق في المغازي، وقد تلقى أبو حنيفة المغازي من مثل الشعبي المعترف بسعة علمه في ذلك عند مثل ابن عمر رضي الله عنهما.

وابنُ إسحاق نُسِبَ إلى غيرِ واحدةٍ من البدع، كما يقوله ابن رجب في «شرح علل الترمذي»، فلا مانع من أن يكونَ غيرَ مرضي عند أبي حنيفة، كما أنه غيرَ مرضي عند مالك، وعلمُ المغازي عنده قلما يَسْتَد على أصول سليمة، ومن رضيَ بعلم ابن إسحاق في المغازي إنما رَضِيَ به بشروط معروفة، وليس في الخبر المذكور مِساسٌ بأحد الجانبين، كما لا مأخذ في سنده، لكن ما تَزِيدُه ابنُ خلكان نقلاً من كتاب «الجلس الصالح» للمُعافى النَهْرَوانِي الجَرِيرِي اختلاقٌ صِرْف، تُكذِّبُه شواهدُ الحال.

وأبو حنيفة هو الذي يُحَدِّثُ أصحابَه في مسانيده، عن تفضيل عمر رضي الله عنه أصحابَ بدر فيما فَرَضَ لهم في الديوان على باقي أصحاب الغزوات المتأخرة، كما أنه لم يزل لسانه رطباً بتلاوة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ =

بيدر وأنتم أذلة»، المعروف نزوله في أحد في ختماته ليلاً ونهاراً. وهذا مما يعلمه صغار أهل العلم، وهو الذي أملى على أصحابه كتاب «السَّير الصغير» فردَّ عليه الأوزاعي، وانبرى للدفاع عن أبي حنيفة أبو يوسف نفسه وفي كتابه المعروف، فكيف يُتصوَّر أن يجهل أبو حنيفة في نظر أبي يوسف أبدُر كانت قبلُ أحد أم بالعكس، مع أن ذلك ليس مما يجهله إلا بعض أطفال الكتاتيب؟ وكيف يظن بأبي يوسف أن يسيء الأدب مع أستاذه الذي إجلاله له بكل مناسبة مستفيض متواتر، لما له من اليد البيضاء في تكوينه العلمي والإنفاق عليه مدة طلبه للعلم، وعرفانه الدائم لهذا الجميل العظيم طول حياته؟

لكن ابن خلكان يُلذِّه تسجيل ما ينال من إمام الأئمة من كل مصدر تالف، متغاضياً عن نقل ما يمسُّ إمامه، فلا يتحاشى تدوين أسطورة الأباريق الرصاص من حماد عجرد المكشوف الأمر، وصلاة القفال التي لا يشك في اختلاقها سوى قلوب عليها أقفالها.

وصاحب «الجليس الصالح» هو الذي يزعم أن المأمون حمل الشافعي على شرب عشرين رطلاً من النبيذ، ففعل ولم يتغير عقله كما في «لسان الميزان»، مع أنه لم يجتمع به في عهد خلافته أصلاً، وهو كذبٌ بحت كهذه الأقصوصة، وليس النهرواني من رجال التحري في النقل، وكتابه جامع بين الجِدِّ والهزل، يتوخى فيه نقل طرائف الحكايات، وال نوادر المضحكات — ولو في أكبر إمام بأسخف سند، شأن كتب الأدب لغير المتحررين — وما روي عن أمثال محمد بن أبي الأزهر، ومحمد بن الحسن النقاش، وابن دُرَيْد، ومَعْمَر بن شَيْب، والحسن بن علي بن زكريا البَصْرِي، وعبدالله بن أيوب بن زاذان، وغيرهم من المتروكين الكذبة عند أهل النقد.

فإن كان النقل عنهم عن جهل بأحوالهم، فذلك فضيحة للنقل والمنقول عنه، وإن كان عن علم فما هو إلا قلة دين. هكذا يسقط نفسه من يحاول النيل من كبار الأئمة بأكاذيب ملفقة. نسأل الله الصون (ز).

تَفَقَّهَ عَلَيْهِ عِدَدٌ كَثِيرٌ، وَرَوَى عَنْهُ بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَابْنُ سَمَاعَةَ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَعَمْرُو بْنُ النَّاقِدِ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ الطُّوسِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ، وَهَلَالُ الرَّأْيِ^(١) وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجِرَاحِ، وَمُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ الرَّازِي، وَأَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ، وَعَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو الْحَرَّانِي. وَأَجَلُ أَصْحَابِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ.

وَلِيَ قَضَاءَ بَغْدَادَ لِمُوسَى الْهَادِي^(٢)، ثُمَّ وَلِيَ الْقَضَاءَ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ. وَعَلَا شَأْنَهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُعِيَ قَاضِي الْقَضَاءِ.

قال مكرم القاضي: ثنا عبد الصمد بن عبيد الله، عن علي بن حرملة التيمي، عن أبي يوسف قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقِلٌّ، فجاء أبي^(٣) يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فقال: يا بُنَيَّ لا تَمُدَّنْ رَجْلَكَ مع أبي حنيفة، فَإِنَّ خُبْرَهُ مَشْوِيٌّ وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْمَعَاشِ، فَأَثَرْتُ طَاعَةَ أَبِي.

(١) على صيغة المصدر بإضافة (هلال) إليه، وعند الفصل بينهما بذكر الأب يتعين كونه على صيغة النسبة، أو على صيغة (فاعل) بمعنى النسبة، حيث لا يجوز اعتبار الإضافة مع الفاصل (ز).

(٢) بل وَلِيَ الْقَضَاءَ قَبْلَهُ فِي عَهْدِ الْمُهَدِي، كما ذكره ابن عبد البر في «الانتقاء»، وقبّله محمد بن خَلْفِ الْمَعْرُوفُ بُوَكَيْعٍ الْقَاضِي فِي «أَخْبَارِ الْقَضَاءِ» (ز).

(٣) وهو الصحيح، وليست أمه صاحبة الحكاية وإن ذكر الخطيب ذلك، لأن في سنده محمد بن الحسن النقاش وهو كذاب. وحكاية الفالوذج في روايته ما هي إلا حكاية سَمَرٍ، ولذا أشار الذهبي إلى تضعيف حكاية أمه بقوله فيما بعد «وَحُكِيَ أَنَّ أُمَّه...» (ز).

فتفقّدني أبو حنيفة، فجعلتُ أتعاهدُ مجلسه، فلما أتيتُ دَفَع إليّ مئة درهم، وقال لي: الزَمَ الحَلَقَةَ، فإذا نَفَدَت هذه فأعلِمني، ثم دَفَع إليّ بعدَ مدة يسيرة مئة أخرى ثم كان يتعاهدني.
وحِكِي أن أمه هي التي أنكرتُ عليه، وأن أباه مات وهو صغير، وأنها أسلمته عند قَصَّار، فالله أعلم.

/ ثناء الأئمة على أبي يوسف

٤٠

ذَكَرَ أسدُ بنُ الفَرَات عن محمد بن الحسن قال: مَرَضَ أبو يوسف فعاده أبو حنيفة، فلما خرج قال: إن يَمُت هذا الفتى فهو أعلمُ من عليها، وأوماً إلى الأرض.
عباس الدُّوري سمعت أحمد بن حنبل يقول: أوَّل ما كتبتُ الحديث اختَلَفْتُ إلى أبي يوسف القاضي فكتبتُ عنه، ثم اختَلَفْتُ بعدُ إلى الناس. قال: وكان أبو يوسف أَمِيلَ إلينا من أبي حنيفة ومحمد.
إبراهيم بن أبي داود البرُّلُسي: سمعتُ يحيى بن معين يقول: ما رأيتُ في أصحاب الرأي أثبتَ في الحديث، ولا أحفظَ ولا أصحَّ روايةً من أبي يوسف. وأبو حنيفة صدوقٌ، غيرَ أنَّ في حديثه ما في حديث المشايخ — يعني من الغَلَط^(١) —.

(١) هذا التفسير من الذهبي ينافي ما في باقي الروايات عن ابن معين، من أنه ما كان يروي إلا ما يحفظه، وقد عُرِفَ تشدُّده في الرواية، بحيث لا يُبيح للراوي أن يروي إلا ما استمرَّ على حفظه من آن التحمل إلى آن الأداء، إلا أنه كان يُجيز الرواية بالمعنى للمحافظ الفقيه، وكان ربما يروي في مجلسٍ تفقيهِه الحديث مختصراً، على المعنى، أو يُرسلُ المسندَ فيما هو معروفٌ لأصحابه المتفقهين عليه في مجلسه، كما هو شأنُ مجالسِ التفقيه، بخلافِ مجالسِ الرواية المجردة، وليس هذا من الغَلَط في شيء (ز).

عباس الدُّوري، سمعتُ ابن معين يقول: أبو يوسف صاحبُ حديثٍ صاحبُ سنة.

محمد بن سَمَاعَةَ، عن يحيى بن خالد قال: قَدِمَ علينا أبو يوسف وأقْلُ ما فيه الفقه، وقد ملأ بفقهه ما بين الخافقين.

بِشْرِ بْنِ الوليد، سمعتُ أبا يوسف يقول: سألتني الأعمشُ عن مسألةٍ فأجبتُه عنها، فقال لي: من أين قلتَ هذا؟ قلتُ: لحديثٍ حَدَّثْتَنَاهُ أنت. فقال: يا يعقوبُ، إني لأحفظ هذا الحديثَ قبل أن يجتمع أبواك، فما عَرَفْتُ تأويلَه إلا الآن.

ابنُ الثَّلَجي، سمعتُ عبد الله بن داود الخُرَيْبِيَّ يقول: كان أبو يوسف قد أَطْلَعَ على الفقه أو العلم أَطْلَاعاً، يَتَنَاوَلُهُ كيف يشاء.

عَمْرُو بْنُ محمد الناقِد قال: ما أَحِبُّ أن أروِيَ عن أَحَدٍ من أصحاب الرأي إلا عن أبي يوسف، فإنه كان صاحبَ سنة.

يحيى بن يحيى النيسابوري، سمعتُ أبا يوسف يقولُ عند وفاته: ٤١
كُلُّ ما أَفْتَيْتُ به فقد رَجَعْتُ عنه إلا ما وافَقَ / الكتاب والسنة^(١).

(١) هذا شأن من يخاف الله سبحانه في دينه، لكن ليس معناه أنه يُعَدُّ راجعاً عن كل فتيا يُعَدُّها كُلُّ من هَبَّ وَدَبَّ مخالِفةً للكتابِ على فهمِهِ، ولصحيح الخبر في نظره. وكم من فَهْمٍ سقيمٍ أو تصحيحٍ غيرٍ مستقيمٍ! والأَنْظَارُ في هذا وذاك مختلفة. وقولُ أبي يوسف هذا كقول الشافعي: إذا صح الحديثُ فهو مذهبي؛ لأنه ليس بمعنى أن كُلَّ ما قال فيه أَحَدٌ: إنه حديثٌ صحيح، أَخُذْ به راجعاً عما قلته من قبل، بل بِمَعْنَى أن الحديث إذا صَحَّ بِشَرْطِهِ، وَوَضَحَتْ دلالته أَخُذْ به، وإلا اختلط مذهبه.

وقد أقاموا النكير على أبي محمد الجَوَيني حيث حاول أن يؤلف كتاباً يَجْمَعُ فيه مسائلَ صَحَّ الحديثُ فيها في نظره، عازياً إياها إلى الشافعي، تعويلاً منه =

حنبل، سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: أبو يوسف كان منصفاً في الحديث. قال الفلاسُ: أبو يوسف صدوق، كثيرُ الغلط^(١).

إبراهيم بن إسحاق الزهري، ثنا بشر المريسي، سمعتُ أبا يوسف يقول: صَحِبْتُ أبا حنيفة سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثم رَتَعْتُ فِي الدُّنْيَا سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ أَجْلِي قَدْ قَرُبَ. فَمَا عَبَّرَ يَسِيرٌ حَتَّى مَاتَ. ابنُ كَاسٍ، ثنا أحمد بن عمار بن أبي مالك، سمعتُ أبي يقول: لَمْ يَكُنْ فِي أَصْحَابِ أَبِي حَنِيْفَةَ مِثْلُ أَبِي يُوْسُفَ عِلْمًا وَفَقْهًا وَمَعْرِفَةً، وَلَوْلَاهُ لَمْ يَذْكَرْ أَبُو حَنِيْفَةَ وَلَا ابْنُ أَبِي لَيْلَى^(٢)، لَكِنَّهُ نَشَرَ عِلْمَهُمَا.

أبو خازم القاضي، عن بكر العمي، عن هلال الرائي، قال: كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، وكان أحدُ علومه الفقه. قال المُرْزِيُّ: كان أبو يوسف أتبعهم للحديث.

أحمد بن عطية، سمعتُ محمد بن سَمَاعَةَ يقول: كان أبو يوسف يُصَلِّي - بَعْدَمَا وَلِيَ الْقَضَاءَ - كُلَّ يَوْمٍ مِئَتِي رَكْعَةً.

على هذا القول المحكي عن الشافعي، وقد استبان لأهل العلم بالحديث أنه كان يُصَحِّحُ أَحَادِيثَ غَيْرَ صَحِيحَةٍ، وَيَجْعَلُ الْمَسَائِلَ الْمُسْتَنْبَطَةَ مِنْهَا أَقْوَالَ لِلشَّافِعِيِّ، فَزَجَرُوهُ عَنْ ذَلِكَ (ز).

(١) الفلاسُ متعنت في أصحاب أبي حنيفة. وأبو يوسف ذكره ابن حبان وغيره بالحفظ والإتقان (ز).

(٢) في هذا الكلام غلو لا يرضاه أبو يوسف نفسه، بل لولاهما لما ارتفع لأبي يوسف شأن أصلاً. وهو القائل: ما كان في الدنيا مجلسٌ أجلسه أحب إلي من مجلسي أبي حنيفة وابن أبي ليلى، فإني ما رأيتُ فقيهاً أفقه من أبي حنيفة، ولا قاضياً خيراً من ابن أبي ليلى. أخرجه الصيَمري بسنده إليه. نعم كان تلميذاً باراً لهما، فبارك الله في علمه (ز).

عباسٌ، سمعتُ يحيى بن معين يقول: كان أبو يوسف يُحِبُّ أصحابَ الحديث، ويميلُ إليهم.

عبدُ الله بن علي المدني، سمعتُ أبي يقول: كنا نأتي أبا يوسف لما قَدِمَ البصرة / سنة ثمانين ومئة، فكان يُحدِّثُ بعشرةِ أحاديثٍ وعشرةِ ٤٢ رأيٍ^(١)، وأراه قال: ما أجْدُ على أبي يوسف إلا حديثُه عن هشام بن عروة في الحجر^(٢)، وكان صدوقاً.

ومن شمائله

الطَّحَاوِيُّ، نا بَكَار بن قتيبة، سمعتُ أبا الوليد الطَّيَالِسِيَّ يقول: لما قَدِمَ أبو يوسف البصرة مع الرشيد، اجتمع أصحابُ الرَّأي وأصحابُ الحديث على بابهِ، فطلبَ كلُّ فريقٍ منهم الدخولَ إليه أولاً، فأشرفَ عليهم فلم يأذن لفريقٍ منهم وقال: أنا من الفريقين جميعاً، ولا أقدمُ فرقةً على فرقة، ولكنني أسأل الفريقين عن مسألة، فأئهِم أصحابوا دَخَلُوا.

ثم قال: رجلٌ مَضَغَ خاتمي هذا حتى هشمه، ما ليَ عليه؟ فاختَلَفَ أصحابُ الحديث، فلم يُعجبه قولُهم، وقال فقيه: عليه قيمتهُ مصوغاً، ويأخذُ الفِضَّةَ المهشومةَ إلا أن يشاء رَبُّ الخاتم أن يُمسِكَه لنفسه، ولا شيءَ على هاشمِهِ.

فقال أبو يوسف: يَدْخُلُ أصحابُ هذا القول، ودخلتُ معهم، فسأله المستملي، فأملَى حديثاً عن الحسن بن صالح وقال: ما أخافُ

(١) هكذا في الأصل، والأظهرُ (عشرةِ آراء)، ولعل وُرودَ ذلك بصيغةِ الإفراد هنا، من جهة أنه مصدر يستوي فيه المثني والمجموعُ (ز).

(٢) بل لَهُ متابع، راجع «التلخيص الحبير» ٢٤٩، و«سنن البيهقي» ٦: ٦١ (ز).

على رجلٍ من شيءٍ خوفي عليه من كلامه في الحسن بن صالح، فوقع لي أنه أراد شعبة، فقمْتُ وقلتُ: لا أجلسُ في مجلسٍ يُعرَّضُ فيه بأبي بَسطام^(١).

ثم خرجتُ، فرجعتُ إليَّ نفسي، فقلتُ: هذا قاضي الآفاق، ووزيرُ أمير المؤمنين، وزميله في حَجِّه، وما يضرُّه غَضَبِي! فرجعتُ فجلستُ حتى فَرَغَ المجلسُ، فأقبل عليَّ إقبالُ رجلٍ ما كان له همٌّ غيري، فقال: يا هشام - وإذا هو يعنيني لأنني كنتُ عنده ببغداد - واللَّهِ ما أردتُ بأبي بَسطام سوءاً، ولهُوَ في قلبي أكبرُ منه في قلبك فيما أرى، ولكن لا أعلمُ أني رأيتُ رجلاً مثلاً للحسن بن صالح.

قال بَكار: فذكرتُ هذا لهلال بن يحيى^(٢)، فقال: أنا واللَّهِ ٤٣ الذي أجبتُ / أبا يوسف عن الخاتم.

ابن الثلجي، سمعتُ الحسن بن أبي مالك، يقول: قال أبو يوسف: لو استطعتُ أن أشاطِرَكم ما في قلبي من العلم لفعلتُ. وسمعتُهُ يقول: مَرِضْتُ مرضاً نَسِيتُ فيه كلَّ ما كنتُ أحفظُهُ، حتى القرآن! ولم أنسَ الفقهَ، لأنَّ عِلْمِي بما سوى الفقه عِلْمُ حِفْظٍ، وعِلْمِي بالفقه عِلْمُ هِدَايَةٍ، كرجلٍ غاب عن بلده مدة، ثم قَدِمَ أَفْتَرَاهُ يَغِيبُ عن طريقِ منزله؟.

عن هلالِ الرَّأي، سمعتُ أبا يوسف يقول: مُخَاشَنَةُ الْوَلَاةِ ذُلٌّ، وَمُخَاشَنَةُ الْقُضَاةِ فَقْرٌ.

(١) هو شعبة.

(٢) هو: هلالُ الرَّأي.

وسمعتُهُ يقول في كتاب الصَّكِّ - يعني الأسْجَال - ونحوه: لا أَقْلُ
من عَشْرَةِ شُهُود، اثنانِ يَمُوتان، واثنانِ يَغِييان، واثنانِ لا يُؤدِّيان، واثنانِ
يُبْتَنان، واثنانِ يُزَوَّران.

محمد بن شجاع، سمعتُ الحسن بن أبي مالك، سمعتُ
أبا يوسف يقول: القرآنُ كلامُ الله، ومن قال: كيف ولم؟ وتعاطى مِرَاءً
ومُجادلةً، استَوْجَبَ الحَبْسَ والضَرْبَ المُبْرَحَ.

وسمعتُهُ يقول: لا يُفْلِحُ من استَحَلَّى شيئاً من الكلام.

وسمعتُهُ يقول: لا يُصَلِّي خَلْفَ من قال: القرآنُ مخلوق.

إبراهيمُ بن الجراح، سمعتُ أبا يوسف يقول: كان أبو العباس
- يعني السَّفَّاح - قد أشْخَصَ العلماءَ، فكنا نَسْمَعُ تلكَ الأيامَ.

عليُّ بن الجَعْد، سمعتُ أبا يوسف يقول: من قال: إيمانِي كإيمانِ
جبريل، فهو صاحبُ بدعة.

أحمدُ بنُ أبي عمران الفقيه، حَدَّثَنِي فَرَجُ مولى أبي يوسف،
قال: رأيتُ مولايَ أبا يوسف إذا دَخَلَ في القنوت للوتر رَفَعَ يديه في
الدعاء، إن كان فَرَجُ ثَقَّةً^(١).

أبو خازم القاضي: ثنا الحسن بن موسى قاضي هَمْدان، ثنا بِشْرُ بن
الوليد، قال: كان أبو يوسف:

(١) وعند ابن أبي العوام قال لنا ابنُ أبي عمران: لم يُحَدِّثْنا بهذا عن أبي يوسف
غيرُ فَرَج، وكان ثَقَّة. فلعله «وكان فَرَجُ ثَقَّة» (أبو الوفاء). قلتُ: ومثله في
«الجواهر المضية» ٢: ٦٩٠ (ز).

إذا ذَكَرَ مُحَمَّدَ بنِ الحَسَنِ قال: أَيُّ سَيْفٍ هُوَ؟ غَيْرَ أَنْ فِيهِ صَدَأٌ،
وهو يَحْتَاجُ إِلَى جِلاءٍ.

وإذا ذَكَرَ الحَسَنَ بنَ زياد قال: هو عِنْدِي كَالصَّيْدِ لَانِي، إذا سَأَلَهُ
رَجُلٌ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا يُطْلِقُ بَطْنَهُ، أَعْطَاهُ مَا يُمَسِّكُهُ.

وإذا ذَكَرَ بَشْراً يَقُولُ: هُوَ كإِبْرَةِ الرَّفَاءِ، طَرَفُهَا دَقِيقٌ، وَهِيَ سَرِيعَةٌ
الانْكَسَارِ.

وإذا ذَكَرَ الحَسَنَ بنَ أَبِي مالِك قال: هُوَ كَجَمَلٍ حَمَلَ جِمْلًا / فِي
يَوْمٍ مَطِيرٍ، فَيَذْهَبُ مَرَّةً هَكَذَا وَمَرَّةً هَكَذَا ثُمَّ يَسْلَمُ. ٤٤

الطحاوي، ثنا ابن أبي عمران، ثنا محمد بن سَمَاعَةَ، عَنْ
أَبِي يَوْسُفَ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا رِبِيعَةُ بنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(١)، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ:
مَا تَقُولُ فِي عَبْدِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، أَعْتَقَهُ أَحَدُهُمَا؟ فَقَالَ: الْعِتْقُ بَاطِلٌ. قُلْتُ:
فَإِنْ أَعْتَقَ الْآخَرُ يَنْبَغِي عَلَيَّ قَوْلُكَ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا بَاطِلًا! فَإِذَا كَانَ عِتْقُ
مَوْلِيِّهِ لَا يَجُوزُ، فَمَنْ يَجُوزُ عِتْقُهُ فِيهِ!

أَبُو بَكْرٍ الْخَصَّافُ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا الحسن بن زياد قال: كنا يوماً
بِبَابِ أَبِي يَوْسُفَ إِذْ أَقْبَلَ مِنْ دَارِ الرَّشِيدِ يَبْتَسِمُ، فَقَالَ: حَدَّثْتُ مَسْأَلَةً فِي
دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ أَنَّ قَاضِيًا بِإِزْمِينِيَّةٍ اخْتَصَمَ إِلَيْهِ جَارِيتَانِ فِي
جَرَّتَيْنِ، وَقَدْ اسْتَقْتَا مَاءً، فَوَضَعَتَا الْجَرَّتَيْنِ لَتَسْتَرِيحَا، فَسَقَطَتْ جَرَّةٌ عَلَى
الْآخَرَى فَانْكَسَرَتَا، فَاخْتَصَمَتَا إِلَى الْقَاضِي، فَقَالَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا:
سَقَطَتْ جَرَّةٌ هَذِهِ عَلَى جَرَّتِي وَكَسَرَتْهَا.

(١) هذا شيخُ مالِك في الفقه، لكن من الصعب المقاومةُ لمُناظرةِ أَبِي يَوْسُفَ فِي
المسائل، ولذا كان يَأْبَى مالِكُ مُناظرته في مجلس الرشيد، كما في «كشف
المغطى» لابن عساكر (ز).

فَجَعَلَ الْقَاضِي يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا لَا يَعْرِفُ الْمُدَّعِيَّ مِنْهُمَا مِنَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، فَقَالَ لِلْقَيِّمِ: أَخْرُهُمَا! ثُمَّ صَاحَتَا وَأَوَيْحَتَا! فَقَالَ لِلْقَيِّمِ: اذْهَبْ فَاشْتَرِ لِهَمَا جَرَّتَيْنِ، وَأَرْضَ كَلًّا مِنْهُمَا. فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَالَ لِرَجُلٍ كَانَ يَأْتِسُ بِهِ: مَاذَا يَقُولُ النَّاسُ وَيَخُوضُونَ فِيهِ مِنْ أَمْرِنَا؟ قَالَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقَاضِيَّ لَمْ يُحْسِنَ أَنْ يَحْكُمَ فِي جَرَّتَيْنِ حَتَّى غَرَمَهُمَا! فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَفَلَا يَرْضَوْنَ مِنِّي أَنْ أَحْكُمَ فِيهِمَا أَحْسَنَ، وَأَغْرَمُ فِيهِمَا لَا أَحْسَنَ؟!

قَالَ أَبُو يُونُسَ: فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا رَجُلٌ عَاقِلٌ، فَرِذْ فِي أَرْزَاقِهِ لِلْغَرَامَاتِ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ.

فَقُلْنَا لِأَبِي يُونُسَ: كَيْفَ جَوَابُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؟ قَالَ:

إِنْ كَانَتَا وَضَعَتَا الْجَرَّتَيْنِ فِي مُسْتَرَاخٍ لِلْمُسْلِمِينَ، فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا جَاعِلَةٌ جَرَّتَهَا فِي حَقِّهَا، غَيْرَ جَانِيَةٍ عَلَى صَاحِبَتِهَا، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا قِيَمَةُ جَرَّةٍ صَاحِبَتِهَا.

وَإِنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا فِي مُسْتَرَاخٍ، وَالْأُخْرَى فِي غَيْرِ مُسْتَرَاخٍ، فَالَّتِي فِي غَيْرِ الْمُسْتَرَاخِ جَانِيَةٌ عَلَى صَاحِبَتِهَا.

بِشْرُوبِ الْوَلِيدِ، سَمِعْتُ أَبَا يُونُسَ يَقُولُ: مَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكَيمِيَاءِ أَفْلَسَ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْكَلامِ تَزَنَّدَقَ، وَمَنْ طَلَبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ.

/ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا سَلِيمَانَ الْجَوْرَجَانِيَّ، سَمِعْتُ ٤٥
أَبَا يُونُسَ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَفِي يَدِهِ دُرَّتَانِ يُقَلِّبُهُمَا، فَقَالَ:
يَا يَعْقُوبُ، هَلْ رَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْ هَاتَيْنِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟
قُلْتُ: الْوِعَاءُ الَّذِي هُمَا فِيهِ. قَالَ: فَرَمَى بِهِمَا إِلَيَّ وَقَالَ: شَأْنُكَ بِهِمَا.
فَأَخَذْتُهُمَا وَقُمْتُ.

الطحاوي: نا ابن أبي عمران، نا محمد بن شجاع، سمعتُ الحسن بن أبي مالك، سمعتُ أبا يوسف في مَرَضِهِ يقول: واللَّهِ ما زُنيْتُ قط، ولا جُرْتُ في حكم، ولا أخافُ من شيء إلا من شيء كان مني: كنتُ آخذُ القِصَصَ فأقرأها على الرشيد، ثم أُوقِعُ لأصحابها بحضرته.

فأخذتُ قصةً لنصرانيٍّ في ضِيعةٍ بيد الرشيد، يزعمُ أنه غَصَبَهُ إياها، فدَعَوْتُ النصرانيَّ وقرأتُ قِصَّتَهُ على الرشيد، فقال: هذه الضيعةُ لنا، وَرِثْنَاهَا عن المنصور. فقلتُ للنصراني: قد سمعتُ، أفَلَاكَ بَيِّنَةٌ؟ قال: لا، ولكنَّ حَلْفَهُ. فقلتُ: الحَلِفَ يا أمير المؤمنين، قال: نَعَمْ، فحَلَفَ وَذَهَبَ النصراني، فأخافُ من تَرْكِى أن أُعِيدَ النصرانيَّ مع أمير المؤمنين مجلسَ الخَصْم.

عليُّ بن الجعد، سمعتُ أبا يوسف وسأله رجل، فقال: يَذْكُرُونَ تُجِيزُ شَهَادَةَ من يقول: إِنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ ما يكونُ حتى يكون؟ قال: ويَحْكُ! هذا إن تاب وإلا قَتَلْتُهُ.

بشرُّ بن الوليد، سمعتُ أبا يوسف يقول في مَرَضِهِ: اللهم إنك تعلم أني لم أطأ فرجاً حراماً، وأنِّي لم آكل درهماً حراماً وأنا أعلم.

ابنُ كَاس: ثنا أبو عمرو القَزَوِيني، ثنا القاسم بن الحَكَم العربي، سمعتُ أبا يوسف عند موته يقول: ليتني مِتُّ على ما كنتُ عليه من الفقه، وإنِّي واللَّهِ دَخَلْتُ في القضاء ولم أتعَمِّدْ جَوْرًا، ولا رَفَعْتُ خَصْمًا على خَصْم من سلطانٍ ولا سُوْقَةٍ.

الطحاوي، ثنا أحمد بن أبي عمران، ثنا داود بن وهب، حدثني عبد الرحمن القوّاس - وقيل لم يكن ببغداد أفضل منه - قال: قال لي معروف الكرخي: إن توفي أبو يوسف فأعلمني، فمضيت، فإذا أنا بجنّازة أبي يوسف، فمضيت معها وقلت: إن رجعت إلى معروف فاتّني الجنّازة ولم يدركها هو.

فلما انصرفت أتيتُه وقلت: لو رجعت إليك لم تدركها، فاغتم! فقلت: ما يغمك؟ قال: إني / رأيت في ليلتي هذه، كأني أدخلت ٤٦ الجنة، فرأيت قصراً فقلت: لمن هذا؟ قال: ليعقوب القاضي. قلت: بأي شيء استحق هذا؟ قال: بتعليمه العلم، وبكثرة وقعة الناس فيه.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: كان في أبي يوسف رحمه الله لثغة^(١)، فكان يحدثنا فيقول: ثنا مطيف بن طيف الحايثي، أي مطرف بن طريف الحارثي.

قال أبو حسان الزياتي: كان أبو يوسف قاضي الرشيد، فاستخلف ولده يوسف، وكان يقضي معه، فلما مات أبو يوسف أقر الرشيد ابنه على القضاء إلى أن مات يوسف.

الحسن بن حماد سجّادة، سمعت يوسف بن أبي يوسف يقول: وليت القضاء، وولي أبي من قبلي، فكانت ولايتنا للقضاء ثلاثين سنة، ما باليتنا أن نقضي بين جد وأخ.

(١) ومثل هذه اللثغة مما لا يصبر عليه مثل الرشيد، فشواهد الحال تدل على عدم صحة هذا الخبر، على أن الراوي عن عبد الله حشوي هالك (ز).

قال ابنُ عدي وَذَكَرَ أبا يوسف فقال: لا بأس به. وقال أبو حاتم الرازي: يُكْتَبُ حديثُهُ^(١). وقال أبو عبدالله البخاري: تركوه^(٢). وقال أبو حفص الفلاس: صدوقٌ، كثيرُ الغلط.

قلتُ: ولقاضي القضاة أبي يوسف رحمه الله ورضيَ عنه أخبارٌ في السُّؤدَدَ والكَرَمَ والمُرُوءةَ والجاهِ العريضِ والحُرمةِ التامةِ في العلم والفضل، وأخبارٌ في الحطِّ عليه، بعضها ليس بصحيح، أوردها ٤٧ العُقَيْلِيُّ^(٣) وابنُ ثابتٍ في / «تاريخ بغداد» وغيرهما.

(١) ذكره ببالغ الحفظ ابنُ الجوزي في «أخبار الحفاظ» ص ٨٧، في عِدَادِ المِثَّةِ الأفاضِلِ من هذه الأمة، المعروفين بقوةِ الحفظ للغاية، حيث كان يُملي نحوَ ستين حديثاً بأسانيده على الرواة بسماع واحد. وَقَبْلَهُ ابنُ عبدالبر، وَقَبْلَهُ ابنُ حبان، وَقَبْلَهُ ابنُ جرير، حيث قال في «ذيل المذيل»: كان يُعَرَفُ بحفظِ الحديث، وكان يَحْضُرُ المَحْدَثَ فيحفظُ خمسين وستين حديثاً — يعني بسماع واحد — ثم يقومُ فيُمليها على الناس، وكان كثيرَ الحديث. وقال أحمدُ بن كامل الشجري في «تاريخ القضاة»: لم يَخْتَلَفْ يحيى بنُ معين وأحمدُ بن حنبل وعليُّ بن المديني في ثِقَتِهِ في النقل (ز).

(٢) قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» عن البخاري: تركه أبو زرعة وأبو حاتم. قلت: وهذه كلمة كبيرة في شيخ الحفاظ، كما أن كلمة البخاري في أبي يوسف الإمام المجتهد الحافظ المتقن خارجة عن حد الإنصاف. ولعل كلمة ابن أبي حاتم في البخاري ثار معنوي من الله لأبي يوسف، وإلا فلا هذا بمتروك ولا ذاك (ز).

(٣) هذا حشوي مجازف، لم يدع أبا حنيفة ولا أحداً من أصحابه من غير أن يَنْهَشَ أديمه، ولم يذكر لواحدٍ منهم مَنَقِبَةً واحدة، وقد سَوَّدَ صفحاتَ تراجمهم بما يدل على ضغيتِهِ نحوَ أهل الحق. وقد كَفَى مَوْنَةَ الرد عليه رَاوِيَتُهُ =

قال علي بن سَلَمَةَ اللَّبْقِي : سمعتُ يحيى بن يحيى يقول : دخلنا على أبي يوسف وهو مريضٌ بِجُرْجَانٍ ، فقال : اشهدوا أنني قد رَجَعْتُ عن كُلِّ ما أَفْتَيْتُ به الناسَ إلا ما في القرآن ، واجتمع عليه المسلمون^(١) .

= ابنُ الدَّخِيلِ الصَّيْدَلَانِي فِي «جزء» خاص، أُلْفِه في مناقب أبي حنيفة . وقد سَمِعَهُ منه الْحَكَمُ بْنُ الْمَنْذَرِ ، ومنه سَمِعَهُ صاحِبُهُ ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ . وقد دَوَّن ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ غالبَ ما في هذا الجزء في «الانتقاء في أخبار الأئمة الثلاثة الفقهاء» ، فكفَى وشفى .

وقد قال الذهبي في «الميزان» ، في ترجمة علي بن المديني ، بعد أن ذَكَر رجالاً طَعَنَ فيهم الْعُقَيْلِيُّ هذا : «ولو تُرِكَ حديثُ هؤلاء لغلَقْنَا الباب ، وانقطع الخطاب ، ولماتت الآثار ، واستولت الزنادقة ، ولَخَرَجَ الدُّجَالُ ! فما لك عَقْلُ يا عُقَيْلِي ! أتدري فيمن تتكلم ؟ ... كأنك لا تدري أن كُلَّ واحد من هؤلاء أوثَقُ منك بطبقات» .

وأما ابنُ ثَابِتٍ - وهو الخطيبُ البغدادي صاحبُ «تاريخ بغداد» - فقد آذَى نفسه بما صَنَعَ ، وقد كَشَفَتُ السُّتَارَ عن منحاها في «تأنيب الخطيب» ، وله دسائسُ غريبة في وَصْمِ أصحابنا ، بأسانيدَ في رجالها الكذَّابون حتى في نظره ، كما فَعَلَ في ترجمة أبي يوسف كأنه تحيَّلَ في إباحةِ جاريةٍ للرَّشيد بصورةِ يَأْبَاهَا أَهْلُ الدِّينِ وبتزديدٍ مفضوح ، مع أن في سندِ هذه الحكاية عنده محمد بن أبي الأزهر ، وهو القائلُ فيه : «كان كَذَّاباً قبيحَ الكذب» . فتَبَّأَ لِمَنْ يَسْتَدِلُّ بحكاية من يكون كَذَّاباً قبيحَ الكذب حتى في نظره نفسه ، في جَرَحِ إمامٍ عظيمٍ مثلِ أبي يوسف ! (ز) .

(١) هذه الحكاية مختلفةٌ ومعها ما يدلُّ على الاختلاق :

لأنه ليس من مذهبه قَصْرُ الْحِجَّةِ على القرآن والإجماع ، بل هو ممن يأخذ بالسنة على أنواعها وبالقياس .

ولأنه اتفق أهلُ العلم بالتاريخ على أنه توفي في بغداد لا في جُرْجَان . ولأنه رَوَى بعضُ أصحابه في مرضِ موتهِ مسائلَ عنه ، أدلَّتْها ليست مقصورةً على الكتاب والإجماع .

قال بشر بن الوليد: تُوفِّي أبو يوسف رحمه الله يومَ الخميس،
لخمسٍ خَلَوْنَ من ربيعِ الأول سنةً اثنتين وثمانين ومئة.

وقال غيره: في ربيعِ الآخر ببغداد، وله تسع وستون سنة^(١).

يعقوب بن شيبة، سمعتُ شجاعَ بن مَخْلَد يقول: حَضَرْنَا جنازةَ
أبي يوسف، فقال عَبَّادُ بن العَوَّام: ينبغي لأهل الإسلام أن يُعْزَى
بعضهم بعضاً بأبي يوسف.

ومن حديثه ما أخبرنا به أحمد بن إسحاق الأبرقوهي سنةَ خمسٍ
٤٨ / وتسعين وست مئة، أنا المبارك بن أبي الجُود، أنا أحمد بن الطَّلَّاية،
أنا أبو القاسم الأنماطي، أنا أبو طاهر المُخَلَّص، ثنا أبو حامد
الحضرمي، ثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، أنا أبو يوسف، نا أبو حنيفة،

= ولأن في سندها أحمد بن حفص الجرجاني، وهو صاحب مناكير، على أنه
ليس بين أئمة الدين من يُفتي مع الجهل بما في القرآن وبمواطن الإجماع،
أو يفتي على خلافهما، مع العلم بمخالفة فتياه لهما حتى يُتَصَوَّرَ مثل هذا
الرجوع.

ولفظُ الخطيب يخالف ما ها هنا، مع كونه بطريق أحمد بن حفص عن اللَّبْقِي.
ولفظُ يحيى بن يحيى في رواية الخطيب «سمعتُ أبا يوسف القاضي عند
وفاته يقول: كُلُّ ما أَفْتَيْتُ به فقد رجعتُ عنه، إلا ما وافقَ كتابَ الله وسنةَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وَمَنْ مِنَ الفقهاء من لا يُبادِرُ بالرجوع عن الفتيا — في جميع أدوار حياته — إذا
عَلِمَ أنه خالف الكتابَ أو السنة سهواً في فتياه؟ (ز).

(١) هذا على المشهور في ميلاده، وأما على ما قاله أبو القاسم السَّمْنَانِي. وابن
فَضْلِ الله العَمْرِي، فكانت وفاته وهو ابنُ تسعٍ وثمانين سنة. والله أعلم (ز).

عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُرَيْدَة، عن أبيه: أَنَّ قَوْمَ مَاعِزٍ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنُوهُ فِي دَفْنِهِ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُمْ.

أخبرنا عبدالعزيز بن محمد بن هبة الله العقيلي الحنفي، أنا يوسف بن خليل، أنا عبد الخالق بن الصابوني، وعبد الرحمن بن نصر الله البَيْع، قالوا: أنا قَرَاتِكِينُ بْنُ أَسْعَدَ، أنا أبو محمد الجوهري، أنا القاضي أبو بكر الأُبْهَرِي، ثنا أبو عَرُوبَةَ الْحَرَّانِي، ثنا جَدِّي عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو، ثنا أبو يوسف يعقوبُ بن إبراهيم، ثنا عُبيدُ اللَّهِ بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: لَوْ مَا وَجَدْتُ إِلَّا مُدًّا لَاغْتَسَلْتُ.

وبالإسناد، ثنا أبو يوسف، ثنا أبو حنيفة، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، أنه قال: لَا وُضُوءَ فِي الْقُبْلَةِ.

أخبرنا أبو الغنائم بن عَلَّان، والمؤمِّل بن محمد، ويوسف بن يعقوب كتابةً قالوا: أنا زيد بن الحسن المُقْرِي، أنا عبد الرحمن بن رُزَيْقُ الشَّيْبَانِي، أنا أحمد بن علي الحافظ، أنا أبو عَمْرٍو بن مَهْدِي، ثنا محمد بن مخلد، ثنا عَبْدُوسُ بْنُ بِشْرِ الرَّازِي، ثنا أبو يوسف القاضي، ثنا أبو حنيفة، عن نافع عن ابن عمر، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ».

أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن، أنا أبو القاسم بن صَصْرِي، أنا علي بن سُورُورِ الْخَشَّاب، أنا الحسن بن أحمد بن محمد بن أبي الحديد سنة ثمانين وأربع مئة، أنا المسدَّد بن علي الأملوكي، ثنا إسماعيل بن القاسم الْحَلَبِيُّ بحمص سنة سبعين وثلاث مئة، ثنا يحيى بن علي بن هاشم الْكِنْدِي، ثنا جَدِّي لَأْمِي وهو محمدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بن أَبِي سُكَيْنَةَ

الحلبي، ثنا أبو يوسف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَعَلَّمَهُ وَقَضَى بِهِ».

والحمد لله رب العالمين.

* * *

نَحْمَدُ الْإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيَّ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيِّ

وُلِدَ سَنَةَ ٦٧٣ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٨ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ /

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

هذه ترجمة الإمام محمد بن الحسن الشيباني: هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم. وقيل: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مروان^(١). كان والدّه من أهل حَرَسْتَا - قرية مشهورة بظاهر دمشق -، فقدِمَ العراق في آخر بني أمية، فولد له محمد بواسط، سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

فحملهُ إلى الكوفة فنشأ بها، وكتبَ شيئاً من العلم عن أبي حنيفة، ثم لازمَ أبا يوسف من بعده حتى برع في الفقه.

وسَمِعَ أيضاً من مسعر بن كدام، ومالك بن مغول، وعُمَر بن ذَرّ الهَمْداني، وسفيان الثوري، والأوزاعي، ومالك بن أنس، ولازمَ مالكا مدةً.

وانتهت إليه رئاسةُ الفقه بالعراق بعد أبي يوسف.

(١) لا تعويل على هذا، ولذا أتى بصيغة التمريض في أوله، وإنما اختلفوا في كونه صليلاً في بني شيبان أم غير صليّب. وقال عبد القاهر البغدادي: إنه شيباني النسب (ز).

وتفقّه به أئمة^(١).

وصنّف التصانيف، وكان من أذكياء العالم.

وَلِي قضاء القضاة للرشيد، ونال من الجاه والجشمة ما لا مزيد عليه.

رَوَى عنه الشافعي، وأبو عُبَيْد القاسم بن سَلَّام، وهشام بن عُبَيْد الله الرازي، وعليُّ بن مسلم الطُّوسي، وعَمْرُو بن أَبِي عمرو، ويحيى بن معين، ومحمد بن سَمَاعَةَ، ويحيى بن صَالِح الوَحَاطِي، وآخرون.

قال محمد بن سعد: أصله من الجزيرة، وسكن أبوه الشام، ثم قَدِمَ واسطَ، فولد له محمدٌ بواسط. وسَمِعَ كثيراً، ونَظَرَ في الرأي، فَعَلَبَ عليه، نَزَلَ بغداد، واختَلَفَ إليه الناسُ، وسمعوا منه.

أحمد بن عطية، سمعتُ أبا عُبَيْد يقول: ما رأيتُ أعلمَ بكتاب الله

٥١ من محمد / بن الحسن.

الربيعُ بن سليمان، سمعتُ الشافعي يقول: لو أشاء أن أقول: نَزَلَ القرآنُ بلغة محمد بن الحسن لقلْتُه لفصاحته.

أبو بكر بن المنذر، سمعتُ المُزَنِّي يقول: سمعتُ الشافعي يقول: ما رأيتُ سميئاً أخفَّ رُوحاً من محمد بن الحسن، وما رأيتُ أفصحَ منه، كنتُ إذا رأيتهُ يقرأ كأنَّ القرآنَ نَزَلَ بلغته.

إسماعيل بن حَمَاد بن أَبِي حنيفة، قال: قال محمد بن الحسن: بَلَّغَنِي أن داود الطائِي كان يَسْأَلُ عني وعن حالي، فإذا أُخْبِرَ قال: إن عاش فسيكونُ له شأن.

(١) مثلُ الشافعي، وأبي عبيد، وأسد بن الفرات، رحمهم الله (ز).

إدريس بن يوسف القَرَاطِيسِي، سمعتُ الشافعي يقول: ما رأيتُ
أعلمَ بكتاب الله من محمد، كأنه عليه نَزَل.

الطحاويُّ، سمعتُ أحمد بن أبي داوُدَ المكي، سمعتُ حَرَمَلَةَ بنَ
يحيى، سمعت الشافعي يقول: ما سمعتُ أحداً قطُّ كان إذا تكلمَ رأيتُ
أنَّ القرآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِ غيرَ محمد بن الحسن، وقد كتبتُ عنه جِملَ
بُخْتِي^(١).

محمد بن إسماعيل الرُّقِّي، نا الربيع، نا الشافعي، قال: حَمَلْتُ
عن محمد بن الحسن جِملَ بُخْتِي كُتُباً، وما ناظرتُ أحداً إلا تغيَّرَ وجهُهُ
ما خلا محمد بن الحسن.

أبْنُ أَبِي حاتم، نا الربيع، سمعتُ الشافعي يقول: حَمَلْتُ عن
محمد بن الحسن جِملَ بُخْتِي، ليس عليه إلا سَمَاعِي.

أحمد بن أبي سُرَيْج الرازي، سمعتُ الشافعي يقول: أنفقتُ على
كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً، ثم تدبَّرتُها، فوضعتُ إلى جنبِ كُلِّ
مسألةٍ حديثاً.

وعن الشافعي قال: ما ناظرتُ سَمِيناً أذكى من محمد بن الحسن،
وقد ناظرته مرةً فجعلتُ أوداجُهُ تتنفخ، وأزرارُهُ تنقطع.

عباس بن محمد، سمعتُ ابنَ معين يقول: كتبتُ عن محمد بن
الحسن «الجامع الصغير».

أبو خازم القاضي، نا بكر العمي، سمعت محمد بن سَمَاعَةَ يقول:

(١) البُخْتِيُّ: الجَمَلُ.

كان محمد بن الحسن قد انقطع قلبه من فكره في الفقه، حتى كان الرجل يُسلم عليه، فيدعو له محمد، فيزيده الرجل في السلام، فيرد عليه ذلك الدعاء بعينه الذي ليس من جواب الزيارة في شيء.

الطحاوي، نا محمد بن شاذان، سمعتُ الأخفش النحوي يقول: ما وُضِعَ شيءٌ لشيءٍ قطُّ يُوافقُ ذلك إلا كتابُ محمد بن الحسن في الأيمان، فإنه وافقَ كلامَ الناس.

٥٢ محمد / بن سَماعة، قال: كان محمد بن الحسن كثيراً ما يتمثلُ بهذا البيت:

محسّدون^(١) وشرُّ الناسِ منزلةً من عاش في الناس يوماً غيرَ محسودٍ
يونس بن عبد الأعلى، سمعتُ الشافعي يقول:

قلتُ لمحمد بن الحسن تقول: ما كان لصاحبك أن يتكلم، ولا لصاحبي أن يسكت^(٢).

أنشدك بالله: هل تعلمُ أنَّ صاحبي كان عالماً بكتاب الله؟ قال: نعم. قلتُ: فهل كان عالماً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. قلتُ: فهل كان عاقلاً؟ قال: نعم.

(١) وعند الموفق ١١: ٢: هم يحسدوني (أبو الوفاء). لكن عند ابن أبي العوام كما هنا (ز).

(٢) ولفظه في رواية الهروي في «ذم الكلام»: «قد رأيتُ مالكاً وسألته عن أشياء، فما كان يحل له أن يفتي...» (ز).

قلتُ: فهل كان صاحبك جاهلاً بكتاب الله؟ قال: نعم، وبما جاء عن رسول الله؟ قال: نعم^(١). قلت: أفكان عاقلاً؟ قال: نعم.

(١) هذا مما تزيده الخطيب ولم ينتبه إليه الذهبي، فنقله على لفظ الخطيب، والدليل على ذلك أن شواهد الحال تكذبه، لأن أبا حنيفة لو كان جاهلاً في نظر محمد بن الحسن، لما أفنى محمد عمره في دراسة فقهه وتدوينه ونشره في الآفاق، وأن الخطيب ساق هذا الخبر بطريق يونس بن عبد الأعلى.

ولفظه عند ابن عبد البر في الانتقاء ص ٢٤، من رواية محمد بن الربيع ومحمد بن سفيان عنه، قال: قال لي الشافعي: ذاكرتُ محمد بن الحسن يوماً، فدار بيني وبينه كلامٌ واختلاف، حتى جعلتُ أنظر إلى أوداجه تدرُّ وتقطعُ أزواره، فكان فيما قلتُ له يومئذ: نَشْدُكَ بالله هل تعلم أن صاحبنا، يعني مالكا، كان عالماً بكتاب الله؟ قال: اللهم نعم. قلتُ: وعالماً باختلاف أصحاب رسول الله؟ قال: اللهم نعم. هنا انتهى لفظ الرواية عند ابن عبد البر. وأين هذا من لفظ الخطيب؟ مع أنهما مسوقان بطريق يونس بن عبد الأعلى، وليس في لفظ ابن عبد البر وصفُ أبي حنيفة بجهل الكتاب والسنة، فيكون وصفهُ بهما من كيس الخطيب.

ثم ختم الخطيب الرواية بقوله: «أو كلاماً هذا معناه»، ليتسنى له أن يقول عند فضح دسيسه باللفظ المحفوظ عن يونس: إني ما ادَّعيتُ أن هذا لفظُ يونس، بل قلتُ: إنَّ هذا معنى كلام يونس. فانظر إلى هذه الخيانة المكشوفة من الخطيب! وفي الحكاية اضطرابٌ عظيم على اختلاف رواتها، فدونك لفظُ ابن عبد البر في «الانتقاء»، ولفظُ أبي إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء، ولفظُ الهرويِّ المَجَسَّم في ذم الكلام، ولفظُ ابن الجوزي في «مناقب أحمد»، ولفظُ الخطيب المنقول هنا، تجدها في غاية الاضطراب لفظاً ومعنى، كما توسَّعتُ في بيان ذلك بعضٌ توسع في تأنيب الخطيب ص ١٨١ - ١٨٣. ولو كان رأيُ محمد في أبي حنيفة كما يريد أن يصوره الخطيب، لما أفنى محمد بن الحسن عمره في فقه أبي حنيفة، ولا سلَّك في كتابه «الحُجَّة على أهل المدينة» هذا المسلك المشهود (ز).

قلتُ: لصاحبي ثلاثُ خصال، لا يَسْتَقِيمُ لأحدٍ أن يكون قاضياً إلا بهن، أو كلاماً هذا معناه.

٥٣ / إبراهيم بن أبي داود البُرْلُسي، سمعتُ يحيى بنَ صالح الوُحَاطي يقول: حَجَجْتُ مع محمد بن الحسن، فقلت له: حدِّثني بكتابك في كذا من الفقه، فقال ما أنشَطُ له، فقلتُ: أنا أقرؤه عليك، فقال لي: أيُّهما أخَفُ عندك عليّ: قراءتي عليك أو قراءتُك عليّ؟ قلتُ: قراءتي عليك، قال: لا بل قراءتي أخَفُ، لأنني إنما أَسْتَعْمِلُ فيها بَصَرِي ولساني، وقراءتُك أَسْتَعْمِلُ فيها بَصَرِي وذَهَنِي وسمعي.

سليمان بن شعيب الكيسانِي، ثنا أبي، سمعتُ محمدَ بن الحسن قال:

إذا اِخْتَلَفَ في مسألةٍ، فحرِّم فقيه وأحلَّ آخرُ، وكلاهما يَسْعُهُ أن يَجْتَهِدَ، فالصوابُ عند الله واحدٌ: حلال أو حرام، ولا يكون عنده حلالٌ وحرامٌ وهو شيءٌ واحد، فأما أن يقول قائل: قد أحلَّ فقيه، وحرِّم فقيه في فرجٍ واحد، وكلاهما صوابٌ عند الله، فهذا ما لا ينبغي أن يُتكلَّم به، ولكنَّ الصوابَ عند الله واحد، وقد أدَّى القومُ ما كُلُّفُوا به حين اجتهدوا، ووَسَّعَهُم ما فعلوا. وهذا قولُ أبي حنيفة وأبي يوسف وقولنا.

أحمد بن أبي عمران، سمعت محمد بن شجاع يقول على انحرافه عن محمد بن الحسن: ما وُضِعَ في الإسلام كتابٌ في الفقه مثلُ «جامع» محمد بن الحسن الكبير.

محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم وغيره، ثنا الشافعي، قال قال محمد بن الحسن: أقمْتُ على [باب] مالكٍ ثلاثَ سنين، وسمعتُ منه

لفظاً سبع مئة حديثٍ وَنَيْفًا^(١).

ثم قال الشافعي: كان محمد بن الحسن إذا حَدَّثَهم عن مالك امتلاً منزله وكثروا حتى يَضِيقَ بهم الموضع، وإذا حَدَّثَ عن غير مالك لم يأتِهِ إلا اليسير، فكان يقول: ما أعلمُ أحداً أسوأَ ثناءً على أصحابه منكم، إذا حَدَّثُتكم عن [مالك] ملأتم عليَّ الموضع، وإذا حَدَّثُتكم عن^(٢) أصحابكم إنما تأتون مُتَكَارِهِينَ^(٣).

الطحاوي / سمعت أحمد بن أبي عمران يقول: قال محمد بن ٥٤ سَمَاعَةَ: سمعت محمد بن الحسن يقول: هذا الكتابُ - يعني كتابَ الحِجَلِ - ليس من كتبنا، إنما أُلْقِيَ فيها. قال ابنُ أبي عمران: إنما وَضَعَهُ إِسْمَاعِيلُ بن حماد بن أبي حنيفة^(٤).

الطحاوي، نا يونس بن عبد الأعلى، قال: قال الشافعي: كان

(١) لفظ الخطيب «أكثر من سبع مئة حديث». وليس فيه لفظ «نيف»، ولفظ ابن أبي العوام «سمعت منه سبع مئة حديث ونيفاً لفظاً». وكذلك هو في «الجواهر المضية» للقرشي (أبو الوفاء).

(٢) زيادة من كتاب ابن أبي العوام (أبو الوفاء).

(٣) وعُذِرَهم أن رواة أحاديث العراق من الكثرة بحيث لا يُخاف على ضياع شيء منها، بخلاف حديث مالك بالعراق بعد موته، فإن روايته انحصرت هناك في مثل الإمام محمد بن الحسن، فالحرص على حديثه والحالة هذه ليس بموضعٍ للمؤاخذه (ز).

(٤) ربما يكون لإسماعيل كتاب في المخارج والحِجَل فيما لم نطلع عليه، لكن الكتاب الذي يحوي كل زيغ في الحِجَل، إنما هو رواية الكذاب ابن الكذاب ابن الكذاب محمد بن الحسين بن حميد، عن محمد بن بشر الرقي، عن خلف بن بيان، رواية مجهول عن مجهول! نسأل الله السلامة (ز).

محمد بن الحسن إذا قَعَدَ للمناظرة للفقهِ أَقَعَدَ معه رجلاً حَكَمًا بينه وبين من يُناظِرُهُ، فيقولُ لهذا: زِدْتُ، ولهذا: نَقَصْتُ. فقيل: كان ذلك الرجل عيسى بن مروان.

موسى بن نُصير، عن هشام بن عُبَيْد الله الرازي، قال: خرجنا مع محمد بن الحسن من المدينة، فلما أتى ذا الحُلَيْفَةِ نزلنا معه، وذلك قُبَيْلَ الظهر، فتنَحَّى عنا أَظُنُّهُ لوضوئِهِ وَغُسْلِهِ، ثم لَبَسَ إِزاراً ورداءً، وَحَضَرَتُ الظهرُ فَمَشَى ومشيْنا معه، حتى أتى مسجدَها، فصَلَّى بنا الظهرَ ركعتين، ولَبَّى ولَبَّينا معه، وَقَرَنَ بين الحجِّ والعُمرَةِ.

ثم مَضَى إلى رحله وهو يُلبِّي وكان قد ساق هَدِيَّه من المدينة، فلما أَحْرَمَ وَلَبَّى أَمَرَ الجمالَ فَأَشْعَرَ هَدِيَّه، وهي بَدَنَةٌ، بِسِكِّين، ومحمدٌ قائمٌ يَنْظُرُ إليه، حتى أَشْعَرَهَا من الجانب الأيسر، فوقَ الكتفِ، في أصلِ مُقَدِّمِ السَّنامِ أسفلَ السَّنامِ، حتى أَظْهَرَ الدَّمَ وَجَلَّلَهَا.

إبراهيمُ الحرَبي، سألتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ وقلتُ: هذه المسائلُ الدقيقةُ من أين لك؟ قال: من كُتِبَ محمد بن الحسن.

أبو عُرُوبَةَ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بنُ أَبِي عمرو، قال محمد بن الحسن: خَلَّفَ أَبِي ثلاثين ألفَ درهمٍ فَأَنْفَقْتُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفاً على النَحْوِ والشعرِ، وخمسةَ عَشَرَ أَلْفاً على الحديثِ والفقهِ.

ابنُ سَماعة، قال محمد بن الحسن لأهله: لا تَسألُوني حاجَةً من حوائج الدنيا، فَتَشْغَلُوا قلبي، وَخَذُوا ما تَحْتَاجُونَ إليه من وكيلي، فإنه هه أفرغُ / لقلبي وأقلُّ لهماي^(١).

(١) ومن الحكايات الطريفة في هذا الباب ما ذكره الخطابي في «العزلة» وإن لم يَصِحَّ سنداً، قال: «حدثني الحسين بن إسماعيل الفقيه، قال بلغني أن محمد بن الحسن رحمه الله عليه، لما أَخَذَ في تصنيف «الجامع الكبير»، خلا =

ابن كأس النخعي، ثنا أحمد بن حماد بن سفيان، ثنا الربيع بن سليمان، سمعتُ الشافعي يقول: ما رأيتُ أعقلَ ولا أفقهَ ولا أزهدَ ولا أورَعَ ولا أحسنَ نطقاً وإيراداً من محمد بن الحسن. قلتُ: لم يرو هذا عن الربيع إلا أحمد بن حماد، وهو قولٌ منكر^(١).

ذِكْرُ تَوَلِيَّتِهِ قِضَاءَ الرِّقَّةِ^(٢)

أبو خازم القاضي، عن بكر بن محمد العمي، عن محمد بن سماعة، قال: كان سببُ مخالطة محمد بن الحسن السلطان أن أبا يوسف

= في سرداب، وأمرَ أهله أن يراعوا وقتَ غِذائِهِ ووضوئِهِ، فيُقدِّمُوا إليه حاجتَهُ منهما، وأن يُؤخَذَ من شَعْرِهِ إذا طال، وأن يُنظَّفَ ثوبُهُ إذا اتَّسَخَ، وأن لا يُوردُوا عليه شيئاً يَشْتَغِلُ به خاطِرُهُ، وأقام في مالِهِ وكيلاً، وفَوَّضَ إليه أمرَهُ، ثم أَقبلَ على تصنيفِ الكتابِ، ولم يَشْعُرْ إلا برجل يَنْزِلُ إليه حتى وقف بين يديه، فأنكره، فقال: من أنت؟ قال: أنا صاحبُ الدار. قال وكيف ذاك؟ قال: لأنِّي قد ابتعتُ هذه الدار من فلان، يعني وكيَلَهُ، وكان وكيَلُهُ عن تفويض، فاحتاجَ إلى الانتقالِ» (ز).

(١) لا وجه لقول الذهبي هذا، لأن ابن كأس ثقة، وأحمد بن حماد بن سفيان وثقه الخطيب ١٢٤: ٤ على تعنته، وقال الدارقطني: لا بأس به. ولم يُنقل فيه جرح. وللخبر شواهد عديدة، فلا يكون كلام الذهبي متمشياً مع قواعد النقد. نسأل الله الصون (ز).

(٢) بفتح الراء والقاف المشددة مدينة مشهورة على الفُرات، بينها وبين حَرَّان ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة، لأنها من جانب الفُرات الشرقي. طولُ الرقة أربع وستون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة في الإقليم الرابع، ويقال لها: الرِّقَّةُ البيضاء. وأصلُ الرقة في اللغة كل أرض إلى جنب واد ينسبطُ عليها الماء. معجم البلدان (أبو الوفاء).

القاضي شُووِرَ في رجلٍ يُؤلَّى قضاء الرقة، فقال لهم: ما أعرفُ لكم رجلاً يَصْلُحَ غيرَ محمد بن الحسن، فإن شئتم فاطلبوه من الكوفة، قال فأشْخَصُوهُ.

فلما قَدِمَ جاء إلى أبي يوسف فقال: لماذا أُشْخِصْتُ؟ قال: شاووروني في قاضٍ للرقة، فَأَشْرْتُ بك، وأردت بذلك معنى أن الله قد بَثَّ عَلِمْنَا هذا بالكوفة والبصرة وجميع المشرق، فَأَحْبَبْتُ أن تكون بهذه الناحية، لِيُبَيِّنَ اللَّهُ عَلِمْنَا بك بها وبما بعدها من الشامات.

فقال: سبحان الله! أما كان لي في نفسي من المنزلة ما أُخْبِرُ بالمعنى الذي من أجله أُشْخِصُ! فقال: هم أشْخِصُوك. ثم أمره بالركوب، فَرَكَبَا ودخلا على يحيى بن / خالد بن بَرْمَك، فقال ليحيى: هذا محمد فشأنكم به، فلم يزل يُخَوِّفُ محمداً حتى وَلِيَ قضاء الرقة، وكان ذلك سَبَبَ فسادِ الحالِ بين أبي يوسف ومحمد بن الحسن^(١).

(١) هذا هو سبب الجفوة الحادثة بينهما، وليس في ذلك شيء يلام عليه أحدهما، وأما ما ذكره السرخسي في أول «شرح السَّيَر الكبير» فأسطورةٌ عُلقت بذهنه في الصغر من أحد كُتُبِ السَّيَر، وأملأها في الجب على تلاميذه وهو بعيد عن كتبه.

وفي الأسطورة نفسها ما يَنْقُضُها من نواح، لأنَّ محمد بن الحسن لم يكن ببغداد إلى هذا الأشخاص، فلا يمكن أن يغار على كثرة جماعة محمد في العاصمة، ولا سيما أن الأستاذ لا يغار على نجاح تلميذه بل يفخر به، وكان تعيينه لقضاء الرقة وهي العاصمة الصيفية للخلفاء، وفي ذلك غاية التقريب منهم، لا لقضاء مصر، كما في الأسطورة! حتى يُتَصَوَّرَ قصدُ إقصائه من مجالس الخلفاء إلى غير ذلك من وجوه تدل على بطلان الأسطورة، كما ذكرت ذلك في «بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني» (ز).

قال الطحاوي: سمعتُ أحمد بن أبي عمران يقول: سمعتُ الطبري^(١) يقول: قال لي حميد أبو العباس - وكان من كبار أصحاب محمد بن الحسن -: كانت الحَلَقَةُ في المسجد يوم الجمعة ببغداد لبشر بن الوليد، فلم يزل كذلك ونحن نجالسُهُ [فيها]، حتى قَدِمَ محمد بن الحسن [علينا]، فأتيناه فكنا نتعلم منه مسائله هذه، ثم نأتي بشر بن الوليد فنسأله عنها، فنؤذيه بذلك. فلما كثر ذلك عليه ترك لنا الحلقة.

قال ابن أبي عمران: فسمعتُ محمد بن الحسن بن أبي مالك يقول: رأيتُ بشر بن الوليد عند أبي، فقال من محمد بن الحسن، فقال له أبي: لا تفعل يا أبا الوليد! ثم قال له: هذا محمد قد صار له في يد الناس ما صار من هذه الكتب، فنرضى منك أن تتولَّى لنا وَضَعَ سؤال مسألةٍ وقد أعفأك الله من جوابها.

وعن الحسن بن أبي مالك وذَكَرَ مسائلَ محمد بن الحسن، فقال: لم يكن أبو يوسف يُدَقِّقُ هذا التدقيقَ الشديد.

الطحاوي، نا محمد بن الحسن بن مرداس، سمعت محمد بن

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن بكر الطبري، كما في كتاب ابن أبي العوام في خبر آخر، حيث قال: حدثني أحمد بن محمد بن سلامة، قال: حدثني أحمد بن أبي عمران، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن بكر الطبري، قال: سمعت مُعَلَّى بن منصور يقول: لَقِيتُني أبو يوسف بهيئة القضاء، فقال لي: يا مُعَلَّى من تلزمُ اليوم؟ قلت: محمد بن الحسن. قال: الزَّمُّ فإنه أعلمُ الناس. قال: ثم لقيتني بعد ذلك فقال لي: يا مُعَلَّى من تلزمُ اليوم؟ قلت: محمد بن الحسن. قال: الزَّمُّ فإنه من أعلم الناس. فَحَطُّهُ من المرتبة الأولى إلى الثانية (أبو الوفاء).

شُجَاع يقول: مَثَلُ محمد بن الحسن في «الجامع الكبير»، كرجلٍ بَنَى ٥٧ داراً، فكان كلما عَلَى بَنَى مِرْقاةً يَرْقى منها إلى ما علاه / من الدار، حتى استتمَّ بناءها كذلك، ثم نَزَلَ عنها وهدَمَ مراقيها، ثم قال للناس: شَأْنُكُمْ فاصْعَدُوا.

الطحاوي، نا أبي محمد بن سلامة، سمعتُ محمد بن علي بن مَعْبَد بن شَدَّاد، سَمِعْتُ أَبِي، قَدِمْتُ الرِّقَّةَ ومحمد بن الحسن قاضٍ عليها، فَأَتَيْتُ بابه، فاستأذنتُ عليه، فحُجِبْتُ عنه، فانصرفْتُ وأقمتُ بالرقّة مدّةً لا آتيه.

فبينما أنا في يوم في الطريق إذا به على دابته بهيئة القضاء^(١). فلما رَأَيْتُ أَقْبَلَ عَلَيَّ واستبطاني، ووَكَّلَ بي من يُصَيِّرُنِي إلى الدار، فلما جَلَسْتُ أُدْخِلْتُ عليه^(٢)، فقال لي: ما الذي خَلَّفَكَ عني^(٣)؟ فقد بلغني أنك ها هنا، قلتُ: أَتَيْتُكَ فحُجِبْتُ^(٤)، فَسَاءَ ذَلِكَ^(٥)، وقال: من حَجَبَكَ^(٦)؟! فظننتُ أنه يُريد عقوبةَ الحاجب فلم أخبره به. فقال لي: فإذا لم تفعل أنحيهم كلَّهم^(٧)، ودعاهم وقال: لا يَدُ لَكُمْ على أبي محمد في حجه

(١) وفي كتاب ابن أبي العوام «في بعض طرقاتها إذ أقْبَلَ محمد بن الحسن على دابته» (أبو الوفاء).

(٢) وفي كتاب ابن أبي العوام «إلى منزله فلما جلس في منزله» (أبو الوفاء).

(٣) وفيه زيادة «منذ قَدِمْتُ» (أبو الوفاء).

(٤) وفيه «فقلت له: أَتَيْتُ مَزلَكَ فحُجِبْتُ عَنْكَ، وإنما أَتَيْتُكَ كما كُنْتُ أَتِيكَ وأنتَ غَيْرُ قاضٍ» (أبو الوفاء).

(٥) وفيه زيادة «وَعَمَّه» (أبو الوفاء).

(٦) وفيه «فقال لي: أَيُّ حُجَابِي حَجَبَكَ؟! فظننت أنه يريد عُقوبَتَهُ» (أبو الوفاء).

(٧) وفيه زيادة: «فقلت له: إذَنْ تَظَلُّمٌ من لَمْ يَحْجِبْنِي! فدعاهم جميعاً وقال لهم» (أبو الوفاء).

عني. ثم كنت آتية حتى أصل إلى الستر فأتحنح وأسلم^(١)، فيقول: ادخل^(٢).

أنبأني المسلم بن محمد القيسي وغيره، أن أبا اليمن الكندي أخبرهم، أنا عبد الرحمن بن محمد، أنا أحمد بن علي الحافظ، أنا ابن رزقويه، أنا ابن السمك، ثنا محمد بن إسماعيل / التمار، حدثني ٥٨ أحمد بن خالد، سمعتُ المُقَدَّمي بالبصرة، قال الشافعي: لم يزل محمد بن الحسن عندي عظيماً، أنفقتُ على كتبه ستين ديناراً، حتى جَمَعَنِي وإياه مجلسُ هارون، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ أهل المدينة خالفوا كتابَ الله وأحكامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماعَ المسلمين. فأخذني ما قَدَمَ وما حَدَّثَ! فقلتُ: أراك قد قصدتَ أهلَ بيتِ النبوة، وقبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، عَمَدْتَ تَهْجُوهُمْ^(٣).

(١) وفيه زيادة «ثم التفت إليّ فقال: إذا جئت إلينا فلا يكون بيني وبينك إلا السّتر الذي يستر الناس عني، فتتحنح حينئذ أو سلّم، فإن كنتُ على حال يتهيأ لك الدخولُ فيها أذنتُ لك بنفسي، وإن كنت على غير ذلك أمسكتُ، فتتصرف. فكنتُ آتية بعد ذلك والناسُ على بابه، فأتخطاهم وأتخطى حُجَّابه حتى أصِلَ إلى سِتره» (أبو الوفاء).

(٢) وفيه زيادة «يا أبا محمد، أو يُمَسِّكُ فأنصرف» (أبو الوفاء).

(٣) أحمد بن علي هو الخطيب البغدادي: تناوَلَه المسكر في «معجم الأدباء» لياقوت من رواية الحافظ عبدالعزيز النخشي، وافتتأه بالولدان وتغزله فيهم وأهواؤه القاصمة لظهره، الكاشفة لستره في عدة كتب لابن الجوزي ولسبطه، وفي «السهم المصيب» للملك المعظم عيسى الأيوبي وغيرها. وقد حاسبناه على افتراءاته على الإمام الأعظم فقيه الملة أبي حنيفة النعمان في «تأنيب =

حنبل بن إسحاق، سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: كان أبو يوسفُ

الخطيب»، وعلى نهشه لأعراض أبي يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهما؛ بأدلة ظاهرة. تراه يُكثِرُ من الرواية عن ابن رَزَقويه بالرَّزْمِ والزَّكَايِبِ بعد أن عَمِيَ وَهَرِمَ. ولا يفعلُ مثلَ ذلك إلا من هانت عليه مخادعة المسلمين.

وأبو عمرو بن السماك عثمان بن أحمد الدقاق في السند: رواية الفضائح بأسانيد مظلمة حتى عند الذهبي.

والتمار مجهولُ الصفة غيرُ موثق وإن تُرجمَ له في تاريخ الخطيب. وأحمد بن خالد الكِرْمَانِي مجهول.

والحكايةُ مكذوبة على الشافعي. وهو على قوة حجاجه ليس ممن يلجأ إلى تقويل من يرُدُّ عليه ما لم يقله.

ومن الغريب أنهم يروون مرةً أن محمد بن الحسن كان يُفَضِّلُ مالكاً على أبي حنيفة في العلم، وأخرى يزعمون أن محمداً كان يقول عن مالك إنه ما كان يَحِلُّ له أن يفتي، ويستأوون من رده على مالك بأدلة ناهضة في كتاب «الحجة على أهل المدينة»، فيحاولون أن يجعلوه يرُدُّ بذلك على أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكرون قبرَ النبي عليه الصلاة والسلام، ودارَ الوحي تقطيعاً للرَّدِّ على من غَلِطَ من فقهاء المدينة.

وما دَخَلَ أهل البيت ودارَ الوحي والقبرِ المعطَّر في باب الرد على مالك وبعض شيوخه؟ فلا يكون الجواب عن ردود محمد بن الحسن هكذا بل بقرع الحجة بالحجة.

وقد أساء إلى الشافعي من اختلق هذه الحكاية. وقد صَحَّ بطريق تفقُّه الشافعي على محمد، وَحَمَلُهُ عنه جَمَلٌ بختي من العلم، وليست هذه المهاترة شأن التلميذ مع أستاذه، بل شأن من يُبيحُ الغلبة بأي طريق كانت، وحاشا الشافعي من مثل ذلك، على أن رد الشافعي على مالك المدوَّن في الأم أفسى بكثير من رَدِّ محمد بن الحسن على مالك في الحجة. والله سبحانه يتولى هداانا (ز).

مُنْصِفاً في الحديث، فأما أبو حنيفة ومحمد بن الحسن فكانا مخالِفَيْنِ للأثر^(١).

وقال الدارقطني: لا يَسْتَحِقُّ محمدٌ عندي الترك^(٢). وقال / النسائي: حديثه ضعيف.

٥٩

وأما الشافعي رحمه الله فاحتجَّ بمحمد بن الحسن في الحديث. أخبرنا علي بن أحمد الحافظ وغيره، قالوا: أنا الحسين بن أبي بكر الحنبلي، ح. وأنا أحمد بن عبد المنعم القزويني، أنا محمد بن سعيد

(١) شروط قبول الأخبار مما يَخْتَلِفُ في نظر المجتهدين، فما يَقْبَلُ هذا قد يَرُدُّ ذاك، لعدم استكمالها لشروط قبول الخبر عنده، وما من إمام إلا وعنده أشياء من هذا القبيل، فلا يكون هذا من الجرح المؤثر في شيء (ز).

(٢) والدارقطني على طول لسانه في أبي حنيفة وأصحابه بما يجاوز الحدَّ جداً، تحت تأثير خلافه لهم في مسائل اعتقادية خطيرة، خلا خلافه لهم في الفروع: يقول في «غرائب مالك» عند الكلام في رواية الرفع عند الركوع: «حدَّث به عشرون نفرًا من الثقات الحفاظ، منهم محمد بن الحسن الشيباني، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، وابن وهب، وغيرهم.

هكذا ترى الدارقطني يذكُرُ محمد بن الحسن في مقدمة هؤلاء الحفاظ الثقات، وهذا شهادة منه بأنه حافظ ثقة، فيكون أعمى بين عور من يقول فيمن يُفْضَلُ محمداً في الحفاظ في نظره: إنه أعور بين عُميان.

وقد وثَّقه أيضاً ابنُ المديني كما في «تعجيل المنفعة» لابن حجر وغيره. وقال الذهبي في الميزان: «كان محمد بن الحسن من بُحُور العلم والفقه، قوياً في مالك». فإذا كان قوياً فيمن سَمِعَ منه عَرَضاً، فكيف لا يكون قوياً في شيخه الذي أفنى عمره في تمحيص علومه ورواياته. والله أعلم. وله الحمد في الآخرة والأولى (ز).

الصوفي، أنا طاهر بن محمد المقدسي، أنا مكّي بن منصور، أنا أحمد بن الحسن القاضي، ثنا محمد بن يعقوب، أنا الربيع بن سليمان، أنا محمد بن إدريس الشافعي، أنا محمد بن الحسن، أنا قيس بن الربيع عن أبان بن تَغْلِب، عن الحسن بن ميمون، عن عبدالله بن عبدالله مَوْلَى بني هاشم، عن أبي الجَنُوب الأَسدي، قال قال علي رضي الله عنه: من كان له ذَمُّنا فذَمُّه كدَمنا، وديتُهُ كديتنا.

ويُحكى عن محمد بن الحسن ذكاء مُفَرِّط، وعقل تام، وسُودَد، وكثرة تلاوة.

قال الطحاوي: سمعتُ أحمد بن أبي عمران يحكي عن بعض أصحاب محمد بن الحسن، أنَّ محمداً كان حِزْبُهُ في كل يوم ليلة ثُلُث القرآن.

قال أبو خازم القاضي: سمعتُ بكرة العَمِّي يقول: إنما أخذ ابنُ سماعة وعيسى بن أبان: الصلاة من محمد بن الحسن.

يونس بن عبد الأعلى، ثنا علي بن مَعْبَد، حدثني الرجل الرازي الذي مات محمد بن الحسن في بيته، قال: حَضَرْتُ محمداً وهو يموتُ فبكي، فقلت له: أتبكي مع العلم؟ فقال لي: أرايتَ إن أوقفني الله تعالى فقال: ما أقدمك الريَّ الجهادُ في سبيلي أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا أقول؟ ثم مات رحمه الله.

قال أبو خازم عبد الحميد القاضي: لما دَفَنَ الرشيدُ محمد بن الحسن والكسائيَّ - يعني بالري - أنشأ يقول:

أَسِفْتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذَرَيْتُ دَمْعِي وَالْفُؤَادَ عَمِيدُ
وَأَقْلَقَنِي مَوْتُ الْكِسَائِيِّ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِيَ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ تَمِيدُ
/ هُمَا عَالِمَانَا أَوْدِيَا فَتُخَرَّمَا فَمَا لَهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ ٦٠

وَقَالَ السَّيْرَافِيُّ: هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِيَحْيَى الْيَزِيدِيِّ. وَأَوَّلُهَا:

تَصَرَّمْتُ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةٍ سَتِيدُ
لِكُلِّ أَمْرٍ كَأَسُّ مِنَ الْمَوْتِ مُتَرَعُ وَمَا إِنَّ لَنَا إِلَّا عَلَيْهِ وُرُودُ
أَلَمْ تَرَ شَيْبًا شَامِلًا يُنْذِرُ الْبَلَى وَأَنَّ الشَّبَابَ الْغَضُّ لَيْسَ يَعُودُ
سَيِّئَتِكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونِ الَّتِي خَلَتْ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْفَنَاءُ عَتِيدُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا

فهرس مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان
وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني

٥ مقدمة الناشر
١٣ ترجمة الإمام أبي حنيفة
١٦ من أخلاقه وورعه
١٩ شيوخه وأصحابه
٢٠ عبادته
٢٩ ذكر من وصفه بالفقه
٣٢ ومن قوله في الرأي
	فصل في ثناء العلماء عليه وورعه، وذكر غفلات أبي أسيد ونواذره في
٣٥ مجالسه، وسؤال نصير البلخي لأحمد بن حنبل عنه وجوابه
٤١ ورعه سوى ما تقدم
٤٤ الاحتجاج بحديثه
٤٦ منشور أخباره
٤٨ وفاته
٤٨ ومن حديثه
٥٠ ومن المنامات المبشرة له
٥٧ ترجمة الإمام أبي يوسف
٦٢ ثناء الأئمة عليه
٦٥ ومن شمائله
٧٩ ترجمة الإمام محمد بن الحسن الشيباني
٧٩ نسبه . مولده . نشأته . طلبه العلم
٨٠ فصاحته . علمه . ذكاؤه
٨٦ حجه . تفرغه للعلم
٨٧ توليته قضاء الرقة
٩٤ وفاته